

الإمام الزاهد والخليفة الراشد

# عمر بن عبد العزيز

إعداد

الدكتور عبد العزيز بن عبد الله الحميدي

الأستاذ بكلية الدعوة وأصول الدين

بجامعة أم القرى

والمدرس بالمسجد الحرام

ح

عبد العزيز عبد الله الحميدي ، ١٤٣٢هـ

فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر

الحميدي ، عبد العزيز عبد الله

الامام الزاهد والخليفة الراشد عمر بن عبد العزيز . / عبد العزيز

عبد الله الحميدي-ط٢..- مكة المكرمة ، ١٤٣٢هـ

١٧٦ ص ؛ .. سم

ردمك ٩٧٨-٦٠٣-٠٠-٨٠٧٢-٤

١- عمر بن عبد العزيز بن مروان ، ت ١٠١هـ ٢- الصحابة و

التابعون ٣- الخلفاء الامويون أ. العنوان

١٤٣٢/٧٧٣٢

ديوي ٢٣٩.٩

رقم الإيداع : ١٤٣٢/٧٧٣٢

ردمك : ٩٧٨-٦٠٣-٠٠-٨٠٧٢-٤

الطبعة الثانية

٢٠١٣م / ١٤٣٥هـ

الطبعة الأولى

٢٠٠٤م - ١٤٢٥هـ

# بسم الله الرحمن الرحيم

## المقدمة

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونتوب إليه، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلله فلا هادي له .

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأن محمدًا عبده الله ورسوله ، صلى الله عليه ، وعلى آله وأصحابه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين .

وبعد : فإن هذا الكتاب تصوير لنموذج إصلاحى كبير قام به الإمام العادل عمر بن عبد العزيز رحمه الله ، فأزال به كياناً سياسياً واجتماعياً قائماً على الظلم والعدوان والطبقية الممقوتة التي كان من أهداف الإسلام القضاء عليها ، والتي تكوّنت بعد وفاة أمير المؤمنين معاوية رضي الله عنه .

لقد أشبه حكام بني أمية حكام دولتي الروم والفرس، حيث قسموا الأمة إلى طائفتين : طائفة ممتازة تأخذ النصيب الأوفر من الهبات والإقطاع والمناصب والجاه ، وطائفة أخرى، وهي أكثر الأمة -

تعيش على أعطيات أفراد الطائفة الممتازة ، أو تبقى في فقرها ودخلها القليل إن لم يتداركها الله تعالى برحمة الأغنياء .

ولقد استغل حكام بني أمية فرصة تفرق الأمة الإسلامية وعدم وجود عصبية كبيرة تنافس عصبيتهم القوية فحكموا الناس بالقوة، ولقد استطاعوا السيطرة على الناس بملء جيوب ذوي النفوذ ومراكز القوى، حتى أصبحوا لا يفكرون في الثورة عليهم ولا بمجرد نقد سياستهم لأنهم لا يريدون أفضل من الوضع الذي هم فيه ، وليذهب أفراد الأمة إلى الدمار والبؤس والشقاء ما داموا هم ومن حولهم يعيشون في ذلك العيش الرغيد .

ولقد امتدت في ذلك العهد المظلم سياط الظلم إلى أجساد بريئة وامتلات بها السجون لمجرد قيام أصحابها بإنكار شيء من ذلك الظلم المطبق، ولقد أزهقت نفوس كثيرة أصر أصحابها على قول الحق والدفاع عنه ، خصوصاً في عهد الحجاج بن يوسف الثقفي حاكم العراق والمشرق، الذي قال عنه عمر بن عبد العزيز: لو تخابثت الأمم فجاءت كل أمة بأخبثها لجاءت هذه الأمة بالحجاج بن يوسف.

ولقد تكوّن في ذلك العهد العرف الاجتماعي على غير قواعد الإسلام، حيث أصبح من المسلم به لدى طوائف من المسلمين وجود الطبقة في المجتمع ، حيث تأتي في الدرجة العليا طبقة بني أمية ، وهذه الطبقة لها من الإجلال والتقدير والمهابة ما ليس لأحد سواء في ذلك كبارهم وصغارهم ، وهذه الطبقة تستهلك - كما سيأتي في بعض الأخبار - جزءًا كبيرًا من ميزانية الدولة .

ثم تأتي طبقة الأمراء الذين من أهم مهامهم تثبيت نظام الدولة وإن كان ذلك بإضاعة بعض أحكام الإسلام والعسف والظلم .

ثم يأتي بعد ذلك أفراد الشرطة ورجال الأمن الذين يحكمون الناس بالحديد والنار ليقبلوا بذلك النظام السياسي الجائر، وهؤلاء لا مجال للتحاكم العقلي معهم ولا للحُجج والبيانات الصحيحة وإن كانت من كتاب الله تعالى وسنة رسوله ﷺ ، لأنه قد تم اختيارهم من النوع الذي يُنفذ ولا يفكر ، وإن فكر فإنه في الغالب يرجح جانب إرضاء الحكام على إرضاء الله تعالى .

ثم تأتي بعد ذلك مراكز القوى ، وهم أفراد لهم مكانة ووجاهة

في أقوامهم ، وقد تم احتواؤهم بسياسة الترغيب والترهيب حتى خضعوا للوضع القائم وأخضعوا من وراءهم .

### **غرة بيضاء في جبين تاريخ أسود :**

وفي أثناء ذلك الوضع السياسي الظالم والوضع الاجتماعي المظلم، ظهر الإمام العادل عمر بن عبد العزيز ، فبدأ ينقض دعائم ذلك التاريخ الأسود بحنكة وروية وحزم وطموح ، وإصرار على الوصول إلى المنهج الأعلى ، جاعلاً رأيته التي يسير تحتها وغايته التي يسعى إليها تطبيق الإسلام كاملاً كما جاء من عند الله تعالى وإن أجلبت عليه قوى الظلم والعدوان بخيلها ورَجَلها ، وحرص على أن لا يجني المال إلا من حِلّه وأن لا يضعه إلا في محله، وأبطل فكرة أن الحكام لا ينجحون إلا إذا كانوا نهابين وهَّابين ، وصار يربي مجتمعا صالحا في نظراته السياسية والاقتصادية والاجتماعية ، واستطاع أن يُججِّم مراكز الطبقية ودعائم الظلم وأن يحجرهم في نطاق ضيق، ولقد اعتدل منهم أصحاب النفوس العالية فارتفع مستواهم الفكري نحو الأفق السامي الذي أراد أن يرفعهم إليه عمر بن عبد العزيز ، وانقمع

منهم الأنانيون الحاقدون وانطوا على أنفسهم منتظرين زوال الشمس الساطعة وحلول الظلام الحالك ليعيثوا فسادًا كما تعودوا، لأنهم لا يعيشون إلا على حساب حرمان الأمة المستضعفة ، ولقد حاول بعضهم - كما سيأتي - تهديد أمير المؤمنين عمر بن عبد العزيز ليغير من سياسته المذكورة ، ولكن محاولاتهم باءت بالفشل أمام قوة عمر وحزمه .

ولقد آلت الحال بهؤلاء النفعيين الأنانيين إلى أن دبّروا وضع السم لعمر بن عبد العزيز - كما سيأتي - وذلك لإدراكهم بأن النور الساطع الذي أعشى أبصارهم وشل بصائرهم لا ينطفئ إلا بإفناء مصدره والقضاء عليه من أجل أن يمارسوا دور الخفافيش التي لا تعيش إلا في الظلام .

لقد كان الحكام قبل عمر بن عبد العزيز يأخذون ضرائب على من أسلم ، ولما أمر عمر بوضع الجزية عن من أسلم تبين ذلك في نقص الموارد المالية فكتب إليه أحد الولاة يشكو إليه من ذلك فأجابه بقوله : فضع الجزية عن من أسلم قَبَّحَ الله رأيك فإن الله لم يبعث



محمدًا جابيًا وإنما بعثه هاديًا . ومع نقص الموارد بذلك ، ومع توقف الفتوح في عهد عمر لإنشغاله بالإصلاح الداخلي - وكانت موارد الفتوح كبيرة - فإن بعض الأغنياء لم يجد من يدفع إليه صدقته ، « قد أغنى عمر الناس » ، فتلك الموارد الضخمة من عائدات الفتوح والضرائب على من دخل في الإسلام كانت تذهب إلى جيوب النفعيين من أصحاب الطبقة الممتازة ، فلما ساوى عمر بن عبد العزيز بين الناس في العطاء أغنى الفقراء عن أخذ الصدقات .

لقد تحققت على يد هذا الحاكم الصالح إنجازات ضخمة من العدل والإصلاح ، وإبطال المفاهيم الخاطئة وإبدالها بالمفاهيم الصائبة، تحققت هذه الإنجازات الكبيرة التي تشبه خوارق العادات في مدى سنتين وأشهر ... فكيف لو بقي عشر سنوات ؟!

هذا وقد راجع الكتاب الدكتور يوسف بن عبد العزيز الحميدي وأفاد ببيان مواقع الأماكن التي جاء ذكرها في الكتاب لأنه خير في هذا المجال فجزاه الله خيرًا .

\* \* \*

## تركة ثقيلة

لقد تولى الخلافة بعد سليمان بن عبد الملك الإمام العادل أمير المؤمنين عمر بن عبد العزيز الذي جدد الله تعالى به لهذه الأمة أمر دينها، حيث أرسى قواعد العدل وطبق السياسة الإسلامية .

لقد كان الخلفاء الذين عاصروهم عمر وكثير من ولائهم قد كثرت في عهودهم المظالم، وعمل الولاة بأهوائهم أحياناً من غير نظر إلى الأحكام الشرعية ، فورث عمر تلك التركة الثقيلة، وأحس من أول ساعة أنه يجب عليه أن يعدل سياسة الدولة لتتفق مع شريعة الله تعالى، ولكن ذلك يصطدم بأهواء أفراد أسرته الحاكمة والمستفيدين من ورائهم ، فلم يخش في الله لومة لائم ، وشمر عن ساعد الجد في إصلاح الأمة وإحقاق الحق ورد المظالم ، وكان حكيماً ونزيهاً حينما طبق الحق على نفسه أولاً وعلى أفراد أسرته الأقربين ثانياً ، فساعده ذلك في تطبيق الحق على بقية أفراد عشيرته من بني أمية وعلى المستفيدين من الوضع السابق .

### فراصة صادقة من جده عمر رضي الله عنه :

وقبل أن أتحدث عن مواقف عمر في الإصلاح والعدل، أذكر موقفاً كريماً لجده من أمه وفراصة صادقة من جده عمر بن الخطاب رضي الله عنه ، فقد أخرج أبو محمد عبد الله بن عبد الحكم فيما يرويه عن شيوخه أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه نهى في خلافته عن مذاق اللبن بالماء، فخرج ذات ليلة في حواشي المدينة فإذا بامرأة تقول لابنة لها : ألا تمذقين لبنك فقد أصبحت ؟ فقالت الجارية: كيف أمذق وقد نهى أمير المؤمنين عن المذاق ؟ فقالت: قد مذاق الناس فامذقي فما يُدري أمير المؤمنين ، فقالت: إن كان عمر لا يعلم فإنه عمر يعلم، ما كنت لأفعله وقد نهى عنه ، فوقع مقالتها من عمر ، فلما أصبح دعا عاصماً ابنه فقال : يا بني اذهب إلى كذا وكذا فاسأل عن الجارية - ووصفها له - فذهب عاصم ، فإذا هي جارية من بني هلال ، فقال له عمر : اذهب يا بني فتزوجها ، فما أحرأها أن تأتي بفارس يسود العرب ، فتزوجها عاصم ابن عمر، فولدت له أمّ عاصم بنت عمر بن الخطاب،

فتزوجها عبد العزيز بن مروان بن الحكم فأدت بعمر بن عبد العزيز<sup>(١)</sup>.  
وهكذا رأينا موقف تلك الفتاة التقية ، حيث راقبت الله عز  
وجل الذي يعلم السر وأخفى، وأدركت أن حفظ الأمانة وأداء  
حقوق الناس ليس الدافع إليه والوازع من ضده هو الخوف من  
السلطان في الأرض ، لأن السلطان ونوابه قد يغفلون عن مراقبة  
الناس فتنهياً الفرصة لمن التزم الحق من أجلهم أن يتهز الفرصة  
غفلتهم عنه فيتبع هواه وينطلق في غش المسلمين وظلمهم، بل أدركت  
أن الدافع إلى الاستقامة على الحق هو خشية الله تعالى ، ومن استقرت  
هذه الخشية في قلبه فإنها تحول بينه وبين اتباع الهوى المنحرف لأن  
رقابة الله تعالى دائمة ، وعلمه لطيف دقيق لا تخفى عليه خافية.  
ولقد كان هذا الفهم الثاقب والإيمان القوي مثار إعجاب عمر،

---

(١) سيرة عمر بن عبد العزيز لابن عبد الحكم / ٢٢، وابن عبد الحكم هو أبو محمد عبد الله بن  
عبد الحكم الفقيه المالكي المصري، من كبار العلماء في مصر، ومن أجلة أصحاب الإمام  
مالك ، ولما قدم الإمام الشافعي إلى مصر صاحبه وتلمذ عليه ، وقد ذكر شيوخه في هذا  
الكتاب في المقدمة وهم علماء أجلاء من أمثال الأئمة : مالك بن أنس والليث بن سعد  
وسفيان بن عيينة ، ولكنه لما ساق الأخبار لم يذكر شيوخه من باب الاختصار .

ورغبته في أن يزوج ابنه عاصمًا من تلك الفتاة الزكية رغبة في نجابة الولد، وصلاح المحضن الأول الذي تصاغ فيه تربية الأولاد، ليكونوا رجال خير وإصلاح .

وكانت فراصة صادقة من أمير المؤمنين عمر رضي الله عنه ، حيث أنجبت تلك الفتاة بنتًا شرفت بإنجاب إمام من أعظم أئمة الإسلام في العدل والإصلاح .

وهكذا نجد الصحابة رضي الله عنهم يلتزمون بالمقياس الإسلامي وهو التقوى ، فيجعلونه مقياسًا لعظمة الناس وتفوقهم، ويبنون على هذا المقياس آمالاً مستقبلية عالية كما فعل عمر حينما أمر ابنه عاصمًا بالزواج من تلك الفتاة التقية .

#### **رؤيا صالحة من جده عمر رضي الله عنه :**

وعمر بن عبد العزيز هو الأشجُّ من ذرية عمر بن الخطاب رضي الله عنه الذي رأى فيه الرؤيا الصالحة ، وقد ذكر هذه الرؤيا ابن عبد الحكم فقال : واستيقظ عمر من نومه فمسح النوم عن وجهه وعرك عينيه وهو يقول : من هذا الذي من ولد عمر يُسمَّى عمر يسير بسيرة عمر؟

يردّها مرات <sup>(١)</sup> .

ورواه ابن سعد في طبقاته من خبر نافع عن ابن عمر عن عمر  
ابن الخطاب أنه كان يقول : ليت شعري من ذو الشين من ولدي  
الذي يملؤها عدلاً كما ملئت جوراً، ذكره ابن الجوزي، وذكر من  
رواية مبارك بن فضالة عن عبد الله بن عمر أنه كان كثيراً ما يقول:  
ليت شعري من هذا الذي من ولد عمر في وجهه علامة يملأ الأرض  
عدلاً <sup>(٢)</sup> .

#### مولده ونشأته :

ذكر أبو محمد عبد الله بن عبد الحكم أنه ولد في المدينة <sup>(٣)</sup> وذكر  
محمد بن سعد أنه ولد سنة ثلاث وستين للهجرة، وهي السنة التي  
توفيت فيها أم المؤمنين ميمونة رضي الله عنها <sup>(٤)</sup> .

---

(١) سيرة عمر بن عبد العزيز لابن عبد الحكم / ٢٢ .

(٢) سيرة عمر بن عبد العزيز لابن الجوزي / ٥ ، وانظر البداية والنهاية ٩ / ١٩٦ .

(٣) سيرة عمر بن عبد العزيز / ٢٤ .

(٤) طبقات ابن سعد ٥ / ٣٣٠ .

وذكر ابن عبد الحكم أنه - وهو غلام صغير - كان يأتي عمه عبد الله بن عمر رضي الله عنهما كثيرًا ، لمكان أمه منه <sup>(١)</sup> .

ثم ذكر أن أمه لما أرادت اللحاق بزوجها في مصر قال لها عبد الله ابن عمر : خَلَفِي هذا الغلام عندنا - يريد عمر - فإنه أشبهكم بنا أهل البيت ، فخلفته عنده ولم تخالفه ، فلما قدمت على عبد العزيز اعترض ولده فإذا هو لا يرى عمر ، فقال لها : وأين عمر ؟ فأخبرته خبر عبد الله وما سألها من تخليفه عنده لشبهه بهم ، فسَرَ بذلك عبد العزيز وكتب إلى أخيه عبد الملك بن مروان يخبره بذلك فكتب عبد الملك أن يجري عليه ألف دينار في كل شهر <sup>(٢)</sup> .

وقد جاء في خبر آخر أن عمر طلب من أبيه عبد العزيز أن يرسله إلى المدينة ليتعلم على علمائها ، وذلك فيما أخرجه الحافظ ابن عساكر من خبر العتبي قال : إن أول ما استُئِين من عمر بن عبد العزيز وحرصه على العلم ورغبته في الأدب أن أباه ولي مصر وهو [يعني

---

(١) يعني لكونه أمه ابنة عاصم أخي عبد الله بن عمر .

(٢) سيرة عمر بن عبد العزيز / ٢٤ .

عمر] حديث السن يُشكّ في بلوغه ، فأراد إخراجَه معه، فقال [يعني بعدما خرج]: يا أبة أوغير ذلك لعله أن يكون أنفع لي ولك ، ترَحِّلني إلى المدينة فأقعد إلى فقهاء أهلها وأتأدب بأدابهم .

فوجهه إلى المدينة ، فقعّد مع مشايخ قريش وتجنّب شبابهم، وجاءته ألطاف أبيه من مصر فجعل يقسمها بينهم، فشهره أهل المدينة بعلمه وعقله مع حداثة سنه فحسده فتيان قريش فقعّدوا إليه فقالوا: كيف أصبحت يا أبا حفص؟ فقال: مهلا، إياي وكلام المَجعة فشُهرت منه بالمدينة حتى كُتب بها إلى أبيه بمصر - والمجعة: القليلة عقولهم ، الضعيفة آراؤهم - .

قال : ثم بعث إليه عبد الملك عند وفاة أبيه<sup>(١)</sup> فخلطه بولده وقدمه على كثير منهم ، وزوّجه بابنته فاطمة، وهي التي يقول فيها الشاعر :

بنت الخليفة والخليفة جدها      أخت الخلائف والخليفة زوجها

فلم تكن امرأة تستحق هذا البيت إلى يومنا هذا غيرها .

قال : وكان الذين يعيبون عمر ممن يحسده لا يعيبونه إلا بشيئين:

---

(١) أي أبي عمر بن عبد العزيز بن مروان .



بالإفراط في النعمة والاختيال في المشية ، ولو كانوا يجدون ثالثاً  
لجعلوه معها ، وهو قول الأحنف : الكامل من عُدَّتْ هفواته ، ولا تُعَدُّ  
إلا من قِلَّة <sup>(١)</sup> .

فيكون على هذا قد بقي في المدينة بطلب من عمه عبد الله بن  
عمر ، ثم سافر إلى أبيه في مصر ، ثم عاد إلى المدينة .

وجاء في رواية أخرى بيان سبب آخر لقناعة أبيه بعودته إلى  
المدينة ، فقد ذكر ابن عبد الحكم أن بعض أهل بيته كانوا يؤملون أن  
يكون هو الحاكم العادل الذي رآه أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه  
في المنام لتحقق بعض الأمارات فيه ، فلما سقط من الدابة فشجَّ في  
وجهه زاد أملهم ذلك فقال أبوه : ما ينبغي لمن كان يُرجى لما يرجى له  
أن يكون تأديبه إلا بالمدينة ، فبعثه إليها <sup>(٢)</sup> .

وتربى عمر في أحضان العلماء الأتقياء حت صار متفوقاً في  
العلم .

---

(١) تاريخ دمشق ٤٥ / ١٣٧ - ١٣٨ ، وانظر سير أعلام النبلاء ٥ / ١١٧ .

(٢) سيرة عمر بن عبد العزيز / ٢٥ .

## رؤيا صادقة وعزم على الاستقامة والعدل :

ذكر سعيد بن صفوان وفادة رجاء بن حيوة على عمر بن عبد العزيز قبل خلافته إلى أن قال : وأقام عنده أيامًا ، فكان كلما أصبح دخل على عمر بعد صلاة الصبح فيتحدثان لا يدخل عليهما أحدٌ حتى يخرج رجاء من عنده، قال: فبينما رجاء ذات يوم عنده - وقد رأى رؤيا فأصبح وقد حفظها - قال فجعل يحدث نفسه وعمر يحدثه، فأنكره عمر فقال: يا أبا المقدام إني لأنكر بعض حالك اليوم فما شأنك! قال: إن الذي ترى وإنكارك إياي لرؤيا رأيتها الليلة ، فأنا أعجب وأحدث بها نفسي ؟ فقال عمر : اقصصها رحمك الله فقال: نعم وإن لك فيها نصيبًا : رأيت الليلة كأن أبواب السماء فتحت ، فبينما أنا أرمقها إذ أقبل ملكان يهويان ، معهما سريرٌ لم أر مثله حسنًا، حتى وضعاه بالمدينة ، ثم صعدا وأنا أنظر إليهما حتى دخلا أبواب السماء ، فلبثا مَلِيًّا ، ثم أقبلا ومعهما ثياب بيض لم أر مثلها، وشممتُ عبق مسكٍ لم أشم مثله قطُّ، فمهداها على ذلك السرير فدنوت منهما فقلت . ما هذه الثياب ؟ قالوا : هذا السندس والإستبرق الذي ذكر في القرآن ، ثم صعدا فلبثا مَلِيًّا ، ثم أقبلا معهما برجل أدعج العينين، ذي وَفْرة

شديد سواد الشعر ، بعيد ما بين المنكبين، مربوع الجسم، عليه هيبة ووقار، حتى أقعده على ذلك السرير من فوق تلك الفرش، فدنوت منهما فقلت: من هذا الرجل ؟ فقالا هذا محمد ﷺ ، قال: فهبته هيبة شديدة: وتأخرت ناكصًا على عقبي، حتى كنت منه بمكان منظر ومسمع ، فبينما أنا كذلك إذ أتى برجل قد نهزه القتير<sup>(١)</sup> ، ضَرَبَ الجسم، حسن اللحم ، مشدودة يده إلى عنقه، حتى وُقف بين يديه، فأقبل رسول الله ﷺ يثني عليه فيما كان من فعالة في الإسلام، ويقول أنت صاحبي في الغار، وأنت أبو بكر الصديق ، والأمر ههنا إلى غيري ، ولست أملك لك من الله شيئًا، فلم يزل قائمًا بين يديه، ثم أمر به فأطلق عنه، وأجلس عند رأس السرير على الأرض، ثم أتى برجل حسن اللحم، نهزه القتير، مجموعة يده إلى عنقه، حتى وُقف بين يديه، فأقبل رسول الله ﷺ يثني عليه بفعالة في الإسلام ، ويقول: أما إنك الفاروق الذي أعز الله عز وجل به الدين، وأنت صاحب اليهودي<sup>(٢)</sup>. والأمر ههنا إلى غيري ، ولست أملك لك من الله شيئًا، فلم يزل قائمًا

---

(١) القتير هو الشيب .

(٢) يعني ابن سَعْيَةَ الذي غلظ في الكلام مع النبي ﷺ فانتهره عمر وهدده .

بين يديه مَلِيًّا ، ثم أُطلق عنه وأُجلس مع أبي بكر، فما زال كذلك يؤتى بخليفة خليفة حتى أفضى الأمر إليك، فلما سمع عمر ذلك منه ارتاع فاستوى جالسًا ثم قال: يا أبا المقدام فماذا صُنع بي؟ قال: أُتي بك مجموعةً يداك إلى عنقك، ثم وقُفت بين يديه طويلاً ثم أمر بك فأطلق الغل، ثم أُجِلست مع أبي بكر وعمر بن الخطاب، فاشتد عجب عمر ابن عبد العزيز لرؤيا رجاء بن حيوة ثم قال: يا أبا المقدام والله لولا ما أثق به من صحبتك وورعك، وجدك واجتهادك، ووفائك وصدقك، لانبأتك أني لا ألي شيئاً من أمر الخلافة أبداً، ولكني قد سمعت كلامك ورؤياك ، وما أخلق بي، سوف أُبتلى بأمر هذه الأمة. فو الله لن ابتليت بذلك وإنما شرف الدنيا لأطلبن بها شرف الآخرة<sup>(١)</sup>.

هذه الرؤيا تبين خطورة المسؤولية والولاية على المسلمين، وهي بيان لقول رسول الله ﷺ « ما من والٍ على عشرة إلا جاء يوم القيامة مغلوله يده إلى عنقه ، فكَّه عدله أو أوبقه جورهِ » أخرجه الإمام أحمد<sup>(٢)</sup> حيث تبين من هذه الرؤيا أنه تم تطبيق ذلك على خير الأمة وأفضلها

---

(١) سيرة عمر بن عبد العزيز لابن عبد الحكم / ١٣٩ - ١٤١ .

(٢) المسند ٢ / ٤٣١ ، وصححه الشيخ الألباني - صحيح الجامع ، رقم ٥٥٧٢ .

أبي بكر وعمر رضي الله عنهما ، فكل وال على أناس من هذه الأمة -  
قلُّوا أو كثروا - سيأتي يوم القيامة مغلولة يدها، والأمر الوحيد الذي  
يفك غُلَّه هو عدله، والأمر الذي يورده موارد الهلاك والعذاب هو  
ظلمه ؛ حيث لا شفاعة في اليوم الآخر فيما يتعلق بحقوق الناس ، وإذا  
كان النبي ﷺ كما جاء في هذه الرؤيا - لم يشفع لأبي بكر وعمر فكيف  
بالولادة الجائرين من هذه الأمة .

وفي هذا الخبر موقف جليل لعمر بن عبد العزيز - رحمه الله - ؛  
حيث فزع من سماع ذكره مع الخلفاء وخشع لذلك ، وأقسم بالله أنه  
لو ولي الخلافة التي هي شرف الدنيا ليطلبن بها شرف الآخرة، وقد  
فعل ذلك ؛ حيث أمضى أيام خلافته كلها في الأعمال الصالحة التي  
سترفع من مقامه في الآخرة .

\* \* \*

### من مواقفه في إمارته على الحجاز

لما تولى الوليد بن عبد الملك الخلافة وَلَّى عمر بن عبد العزيز على الحجاز من سنة ست وثمانين إلى سنة ثلاث وتسعين<sup>(١)</sup>.

#### استشارته فقهاء المدينة :

قال محمد بن سعد : أخبرنا محمد بن عمر قال: حدثنا عبد الرحمن بن أبي الزناد عن أبيه قال : لما قدم عمر بن عبد العزيز المدينة والياً عليها كتب حاجبه الناس ثم دخلوا فسلموا عليه، فلما صَلَّى الظهر دعا عشرة نفر من فقهاء البلد : عُرْوَة بن الزبير وعبيد الله بن عبد الله بن عتبة وأبا بكر بن عبد الرحمن بن الحارث وأبا بكر بن سليمان بن أبي حثمة وسليمان بن يسار والقاسم بن محمد وسالم بن عبد الله وعبد الله بن عبد الله بن عمر وعبد الله بن عامر بن ربيعة وخارجة بن زيد بن ثابت . فحمد الله وأثنى عليه بها هو أهله ثم قال : إني دعوتكم لأمر تُؤجرون عليه وتكونون فيه أعواناً على الحق ، ما أريد أن أقطع أمراً إلا برأيكم أو برأي مَنْ حضر منكم فإن رأيتم أحداً

---

(١) تاريخ دمشق ١٣٩/٤٥ .

يتعدّى أو بلغكم عن عامل لي ظلامه فأُخرج بالله على أحد بلغه ذلك  
إلاّ أبلغني . فجزّوه خيرًا وافترقوا<sup>(١)</sup> .

وهذا الخبر يدلنا على قوة إيمان عمر بن عبد العزيز وحبّه البالغ  
لتطبيق الإسلام كاملاً، حيث إن علماء الدين هم أخبر الناس  
بالإسلام، ففي استشارتهم والأخذ بحكمهم أمان من الوقوع في  
الخطأ والانحراف .

#### **إجلاله سعيد بن المسيب :**

قال ابن عبد الحكم : وأرسل عمر بن عبد العزيز في ولايته على  
المدينة رسولاً إلى سعيد بن المسيب رحمه الله سأله عن مسألة ، وكان  
سعيد لا يأتي أميراً ولا خليفة ، فأخطأ الرسول فقال له : الأمير  
يدعوك فأخذ نعليه وقام إليه من وقته ، فلما رآه قال له : عزمت عليك  
يا أبا محمد إلا رجعت إلى مجلسك حتى يسألك رسولنا عن حاجتنا  
فإننا لم نرسله ليدعوك ، ولكنه أخطأ إنما أرسلناه ليسألك ، ولم ير سعيد

---

(١) تاريخ دمشق ٤٥ / ١٣٩ .

أنه يسعه التخلف عنه <sup>(١)</sup> .

وهذا موقف عظيم من عمر بن عبد العزيز رحمه الله في تعظيم علماء الدين ورعاية حقهم ، فالعلم يُؤْتَى إليه ولا يأتي، والعلماء يُقصدون ، ولا يَقصدون غيرهم ، لأن العلم لا يؤثر ولا يُعطي نتائج المطلوبة إلا إذا تواضع له طالبوه ، وأصبح جَوْه مُفعماً بالحب والاحترام لحملة العلم .

ولقد كان عمر موفقاً حينما اعتذر للعالم الرباني سعيد بن المسيب وأصر على أن يذهب إليه رسوله ليسأله وهو في مجلسه احتراماً له والتماساً لبركة العلم إذا أحيط بما يلزم له من ظروف وأسباب .

كما كان سعيد بن المسيب موفقاً حينما استجاب لدعوة عمر وهو الذي لم يستجب لدعوة أحد قبله ولا بعده .. كان موفقاً لأنه أظهر توقير الوالي العادل وتفخيم أمره ، وفي ذلك ما فيه من عون على الاستقامة على العدل، ودفع الناس إلى طاعته وتثبيت أمره في الولاية.

---

(١) سيرة عمر بن عبد العزيز لابن عبد الحكم / ٢٦ .



### استخلافه وموقف لرجاء بن حيوة :

قال ابن سعد رحمه الله تعالى : أخبرنا علي بن محمد عن جرير بن حازم عن هزان بن سعد قال: حدثني رجاء بن حيوة قال: لما ثقل سليمان بن عبد الملك رأني عمر في الدار أخرج وأدخل وأتردد فدعاني فقال لي : يا رجاء أذكرك الله والإسلام أن تذكرني لأمر المؤمنين أو تشير بي عليه إن استشارك، فوالله ما أقوى على هذا الأمر، فأنشدك الله إلا صرفت أمير المؤمنين عني.فانتهرته وقلتُ: إنَّك لحريص على الخلافة لتطمع أن أشير عليه بك.فاستحيى ودخلتُ ، فقال لي سليمان: يا رجاء من ترى لهذا الأمر وإلى من ترى أن أعهد ؟ قلت: يا أمير المؤمنين اتق الله فإنَّك قادم على الله وسألك عن هذا الأمر وما صنعت فيه . قال: فمن ترى ؟ فقلت: عمر بن عبد العزيز . قال: كيف أصنع بعهد أمير المؤمنين عبد الملك إلى الوليد وإلى في ابني عاتكة أيهما بقى ؟ قلت: تجعلهما من بعده . قال: عمر ويزيد من بعده وختمها ، ثم دعوتُ رجالاً فدخلوا عليه فقال لهم: إني قد عهدتُ في هذه الصحيفة ودفعْتُها إلى رجاء وأمرته أمري وهو في الصحيفة،

اشهدوا واختموا الصحيفة . فختموا عليها وخرجوا فلم يلبث سليمان أن مات فكففتُ النساء عن الصياح وخرجتُ إلى الناس فقالوا: يا رجاء كيف أمير المؤمنين ؟ قلت: لم يكن منذ اشتكى أسكنَ منه الساعة . قالوا : لله الحمد ! فقلت : أستم تعلمون أن هذا عهد أمير المؤمنين وتشهدون عليه ؟ قالوا : بلى ، قلت : أفترضون به ؟ قال هشام: إن كان فيه رجل من ولد عبد الملك وإلا فلا . قلت : فإن فيه رجل من ولد عبد الملك ؟ قال: فنعم إذا . قال فدخلتُ فمكثتُ ساعة ثم قلتُ للنساء اصرخن ، وخرجتُ فقرأتُ الكتاب والناس مجتمعون وعمر في ناحية الرواق .

وقال : أخبرنا عليّ بن محمد بن يعقوب بن داود الثقفى عن أشياخ من ثقيف قال : قُرى عهد عمر بعد وفاة سليمان بالخلافة وعمر ناحية وهو بدابق<sup>(١)</sup> . فقام رجل من ثقيف يقال له سالم من أحوال عمر . فأخذ بضبعه فأقامه فقال عمر : أما والله ما الله أردت بهذا ولن

---

(١) يعني كان قبل ذلك بدابق ، ودابق قرية في شمال سوريا قرب حلب - معجم البلدان ٢/ ٤٧٥ - .

تصيب بها مني دنيا<sup>(١)</sup> .

### فهذا الخبر يشتمل على مواقف عالية :

الأول : موقف لعمر بن عبد العزيز في الزهد في المنصب والجاه؛ وذلك حينما ناشد رجاء بن حيوة أن لا يذكره لأمر المؤمنين سليمان وأن لا يشير به للخلافة ؛ فقد زهد في أعلى منصب في الدنيا خشية أن يدخل عليه في دينه نقص فيما إذا لم يقيم بأمور الخلافة على ما يرضي الله تعالى .

الثاني : موقف عظيم لرجاء بن حيوة، حيث أشار على سليمان ابن عبد الملك بإسناد الخلافة إلى عمر بن عبد العزيز وخوفه من قدومه على الله تعالى ومساءلته عن أمر الأمة؛ فاغتنم فرصة إقباله على الله تعالى ورهبته من الحياة الآخرة وهو في الساعات الأخيرة له من الدنيا، وأجاب عن تساؤل سليمان فأقنعه في ذلك، وهذا نجاح كبير لم يكن متوقعًا لوجود عهد من عبد الملك لابنيه يزيد وهشام بعد سليمان، ولعل الذي دفع رجاء بن حيوة إلى القيام بتلك المشورة هو ما

---

(١) طبقات ابن سعد ٥/ ٣٣٩ - ٣٤٠، وانظر تاريخ دمشق ٤٥/ ١٥٧ .

فهمه من الرؤيا السابقة التي أفادت بأن عمر بن عبد العزيز سيتولى الخلافة فرجا أن يكون ذلك الوقت مناسباً لما لعمر من المكانة عند سليمان، فتم ما أراده الله من ذلك بسبب هذه الجهود التي بذلها رجاء ابن حيوة .

الثالث : موقف آخر لعمر بن عبد العزيز حينما خاطب أحد أحواله من أهل الدنيا بذلك الخطاب الشديد، وهو استفتاح جيد لخلافته أفاد فيه أنه لا يمكن أن يكون معبراً لأقاربه إلى الدنيا بواسطة وصوله إلى الخلافة .

\* \* \*

## تقديره أهل الفضل

### تقديره ولد قتادة بن النعمان :

قال الواقدي فيما يرويه عن شيوخه : وأُصِيبَ يومئذ <sup>(١)</sup> عين قتادة ابن النُّعمان حتى وقعت على وَجَّتِهِ . قال قتادة بن النعمان : فجئت رسول الله ﷺ فقلت : أي رسول الله، إِنَّ تَحْتِي امرأةً شابةً جميلةً أحبها وتُحِبُّني وأنا أخشى أن تقذّر مكان عيني . فأخذها رسول الله ﷺ فردّها فأبصرت وعادت كما كانت، فلم تضرب عليه ساعةً من ليل ولا نهار ، وكان يقول بعد أن أَسَنَّ : هي والله أقوى عينيَّ ! وكانت أحسنهما <sup>(٢)</sup> .

وقال الحافظ ابن حجر : أخرج الدارقطني وابن شاهين من طريق عبد الرحمن بن يحيى العذري عن مالك عن عاصم بن عمر بن قتادة عن محمود بن لبيد عن قتادة بن النعمان ﷺ أنه أُصِيبَ عينه يوم أحد فوقعت على وجنته فردّها النبي فكانت أصبح عينيه .

قال : وأخرجه الدارقطني والبيهقي في الدلائل من طريق

---

(١) يعني يوم معركة أحد .

(٢) مغازي الواقدي ١/ ٢٤٢، وأخرجه ابن هشام مختصراً - سيرة ابن هشام ٣/ ٣٣ - .

عياض بن عبد الله بن أبي سرح عن أبي سعيد الخدري وذكر نحوه<sup>(١)</sup> .  
وقد ذكر الحافظ ابن كثير أن ولد قتادة بن النعمان وفد على عمر

ابن عبد العزيز فقال له : من أنت ؟ فقال مرتجلا :

أنا ابن من سألت على الخدِّ عينه      فرُدَّتْ بكفِّ المصطفى أحسن الرَّدِّ  
فعادت كما كانت لأول أمرها      فيا حُسْنَهَا عيناَ ويا حُسْنَ ما رَدِّ

فقال عمر بن عبد العزيز عند ذلك :

تلك المكارم لا قُعبان من لبن      شيبًا بهاء فعادا بَعْدُ أبوالا

ثم وصله فأحسن جائزته ﷺ<sup>(٢)</sup>

وولد قتادة هذا لم يُذكر اسمه في هذه الروايات ، لكن جاء في  
رواية ذكرها الحافظ ابن حجر : قال عاصم: فحدثت به عمر بن عبد  
العزيز ، فذكر البيت الذي تمثل به عمر<sup>(٣)</sup> ، وهذا يعني أن عاصم بن

---

(١) الإصابة ٢١٧/٣ . رقم ٧٠٧٨ .

(٢) البداية والنهاية ٣٥/٤ ، وانظر عيون الأثر ١٤/٣ ، وسير عمر بن عبد العزيز لابن  
الجوزي/ ١٩٦ .

(٣) الإصابة ٢١٧/٣ ، رقم ٧٠٧٨ .

عمر بن قتادة المؤرخ المشهور هو صاحب القصة، ويكون قد انتسب إلى جده .

ففي هذا الخبر موقف لأمير المؤمنين عمر بن عبد العزيز رحمه الله تعالى في إكرام ولد قتادة بن النعمان لما وفد عليه حينما عرف نفسه بما حدث لأبيه ﷺ في هذا الخبر على يد رسول الله ﷺ ، وهذا يدل على تفوق عمر بن عبد العزيز في المجال الأخلاقي ، وذلك بتقدير أهل الفضل والتقدم في خدمة الإسلام والمسلمين، فإن ما حدث لقتادة ﷺ من اقتلاع عينه بتلك الصورة شاهد على إيغاله في القتال وتعرضه للمهالك ، كما أنه شرف له أن تمثلت فيه تلك المعجزة النبوية .

ولقد كان ولده بارعاً حينما صور هذا المشهد بدينك البيتين من الشعر اللذين ارتجلهما في الرد على أمير المؤمنين عمر بن عبد العزيز لما سأله عن اسمه ، وكان عمر أيضاً بارعاً في جوابه واستشهاده ببيت الشعر الذي استشهد به .

### تقديره زياد مولى ابن عياش :

إن من مواقف أمير المؤمنين عمر بن عبد العزيز في التواضع وتقدير العلماء ما جاء في رواية ابن عبد الحكم أنه قال: وقدم عليه زياد مولى ابن عياش وأصحاب له ، فأتى الباب به جماعة من الناس فأذن له دونهم ، فدخل عليه فنسي أن يسلم عليه بالخلافة، ثم ذكر فقال : السلام عليك يا أمير المؤمنين ، فقال له عمر: والأولى لم تضرنى، ثم نزل عمل عن موضع كان عليه إلى الأرض وقال: إني أعظم أن أكون في موضع أعلو فيه على زياد ، فلما قضى زياد ما يريد خرج ، فأمر عمر خازن بيت المال أن يفتحه لزياد ومن معه يأخذون منه حاجتهم ، فنظر إليه خازن بيت المال فاقتحمته عينه أن يكون يفتح لمثله بيت المال ويسلط عليه - وهو به غير عارف - ففعل الخازن ما أمر به ، فدخل زياد فأخذ لنفسه ولأصحابه بضعا وثمانين درهما، أو بضعا وتسعين درهما ، فلما رأى ذلك الخازن قال : أمير المؤمنين أعلم بمن يسלט على بيت المال <sup>(١)</sup> .

---

(١) سيرة عمر بن عبد العزيز لابن عبد الحكم / ٥٣ ، وأخرجه الإمام أحمد وذكر نحوه -

الزهد / ٢٩٩ ، وانظر سيرة عمر بن عبد العزيز لابن الجوزي / ٦١ .



ففي هذا الخبر صور من تواضع عمر بن عبد العزيز رحمه الله وتقديره للعلماء الربانيين ، فهو أولاً لم يبال بلقب الخلافة وهو أعلى لقب عند المسلمين والمناصب لها فتنة يقع في حبالها من اغتروا بالجاه والمنزلة الدنيوية ، أما أقوياء الإيمان فإن شخصيتهم لا تتغير بعد المنصب بل يظلون على ما هم عليه من التواضع ، وربما زادوا تواضعاً في مقابلة احترام الناس لهم .

ثم هو ثانياً نزل عن مكانه حتى لا يعلو ذلك العالم الرباني زياد ابن أبي زياد مولى عبد الله بن عياش بن أبي ربيعة ، وكون ذلك العالم من الموالي لا يُنزل من قدره عند عمر فإن العبرة بالعلم والتقوى لا بشرف النسب .

وموقف كريم لذلك العالم الرباني حيث لم يأخذ من بيت المال إلا ذلك القدر الزهيد مع أنه قد مُكِّن منه ، وهذا مثال رفيع من أمثلة الزهد والورع .

وحينما تكون النفوس كبيرة والعقول راجحة فإنها تغفُّ عن متاع الدنيا الذي يتنافس عليه الصغار ، وتطمح ببصرها نحو نعيم

الآخرة الخالد الذي يتنافس فيه الكبار .

**إكرامه من ينتسبون إلى علي عليه السلام :**

أخرج الحافظ أبو نعيم الأصبهاني من خبر عيسى بن عبد الله بن محمد بن عمر بن علي بن أبي طالب . قال : حدثني يزيد بن عمر بن مورك قال : كنت بالشام وعمر بن عبد العزيز يعطي الناس ، فتقدمت إليه فقال لي : ممن أنت ؟ قلت من قريش ، قال من أي قريش ؟ قلت من بني هاشم . قال من أي بني هاشم ؟ قال فسكت ، فقال من أي بني هاشم ؟ قلت مولى علي . قال من علي : فسكت ، قال : فوضع يده على صدري وقال : وأنا والله مولى علي بن أبي طالب كرم الله وجهه ، ثم قال : حدثني عدة أنهم سمعوا النبي صلى الله عليه وسلم يقول : «من كنت مولاه فعلي مولاه» ثم قال : يا مزاحم كم تعطي أمثاله ؟ قال : مائة أو مائتي درهم ، قال أعطه خمسين دينارًا ، وقال ابن أبي داود : ستين دينارًا لولايته علي بن أبي طالب ، ثم قال : الحق ببلدك فسيأتيك مثل ما يأتي نظراءك <sup>(١)</sup> .

---

(١) حلية الأولياء ٣٦٤/٥ ، وانظر سيرة عمر بن عبد العزيز لابن الجوزي / ١٢ .

وهذا موقف يذكر لأمر المؤمنين عمر بن عبد العزيز حيث  
حفظ حق أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام فأكرم وفادة ذلك  
الرجل وفضله على غيره في العطية لكونه مولى لعلي ، وفي هذا الخبر  
تصوير للإرهاب الذي بثه بنو أمية في قلوب الناس فيما يتعلق بعلي بن  
أبي طالب عليه السلام وذريته ، حيث لم يجرأ ذلك المولى على ذكر انتسابه إليه في  
بادئ الأمر .

\* \* \*

## نماذج من جرأته في الحق وحرمة وحكمته

### إنكاره على الوليد بن عبد الملك في الحكم بالهوى :

قال أبو محمد عبد الله بن عبد الحكم: ودخل عمر بن عبد العزيز على الوليد بن عبد الملك فقال: يا أمير المؤمنين إن عندي نصيحة فإذا خلا لك عقلك واجتمع فهمك فسلني عنها، قال: ما يمنعك منها الآن؟ قال: أنت أعلم إذا اجتمع لك ما أقول، فإنك أحق أن تفهم .

قال: فمكث أيامًا ثم قال: يا غلام من بالباب؟ فقبل له ناس وفيهم عمر بن عبد العزيز فقال: أدخله ، فدخل عليه فقال: نصيحتك يا أبا حفص فقال عمر: إنه ليس بعد الشرك إثم أعظم عند الله من الدم ، وإن عمالك يقتلون ويكتبون: إن ذنب فلان المقتول كذا وكذا ، وأنت المسؤول عنه ، والمأخوذ به . فاكتب إليهم أن لا يقتل أحدٌ منهم أحدًا حتى يكتب إليك بذنبه ثم يشهد عليه ، ثم تأمر بأمرك على أمر قد وضح لك قال: بارك الله فيك يا أبا حفص ومنع فقدك.

عليّ بكتاب فكتب إلى أمراء الأمصار كلهم فلم يخرج من ذلك إلا الحجاج ، فإنه أمضه ، وشق عليه وأقلقه . وظن أنه لم يكتب إلى أحد

غيره ، فبحث عن ذلك فقال : من أين دُهِينا ؟ أو من أشار على أمير المؤمنين بهذا ، فأخبر أن عمر بن عبد العزيز هو الذي فعل ذلك فقال: هيهات إن كان عمر فلا نقض لأمره .

قال : ثم إن الحجاج أرسل إلى أعرابي حروري جاف من بكر ابن وائل ، ثم قال له الحجاج : ما تقول في معاوية ؟ فنال منه . قال له: ما تقول في يزيد ؟ فسبّه . قال: فما تقول في عبد الملك ، فظلمه قال: فما تقول في الوليد ؟ فقال : أجورهم حين ولأك وهو يعلم عداءك وظلمك .

قال : فسكت عنه الحجاج وافترصها منه ثم بعث به إلى الوليد وكتب إليه : أنا أحوط لديني ، وأرعى لما استرعتني وأحفظ له من أن أقتل أحداً لم يستوجب ذلك ، وقد بعثت إليك ببعض من كنت أقتل على هذا الرأي فشأنك وإياه . فدخل الحروري على الوليد وعنده أشرف أهل الشام وعمر فيهم ، فقال له الوليد : ما تقول في ؟ قال: ظالم جائر جبار . قال: ما تقول في عبد الملك ؟ قال جبار عات قال: فما تقول في معاوية ؟ قال : ظالم . قال الوليد لابن الريّان : اضرب

عنقه فضرب عنقه .

قال : ثم قام فدخل منزله وخرج الناس من عنده فقال: يا غلام  
اردد عليَّ عمر ، فردّه عليه فقال : يا أبا حفص ما تقول بهذا ؟ أصبنا  
فيه أم أخطأنا ؟ فقال عمر ما أصبت بقتله ، ولغير ذلك كان أرشد  
وأصوب ، كنت تسجنه حتى يراجع الله عز وجل أو تدركه منيته ،  
فقال الوليد : شتمني وشتم عبد الملك وهو حروري أفتستحل ذلك ؟  
قال: لعمرى ما استحلّه ، لو كنت سجنته إن بدا لك أو تعفو عنه،  
فقام الوليد مُغضبًا ، فقال ابن الريان لعمر : يغفر الله لك يا أبا  
حفص، لقد راددت أمير المؤمنين حتى ظننت أن سيأمرني بضرب  
عنقك . فقال عمر: ولو أمرك كنت تفعل ؟ قال: إي لعمرى قال:  
عمر : اذهب إليك <sup>(١)</sup> .

فهذا موقف جليل من عمر بن عبد العزيز في الصدع بالحق أمام  
الوليد بن عبد الملك الذي كان شديد البطش وفي حال من الغضب  
الشديد ، ولكنه كان بين أمرين : أن يتعرض لسخط الوليد وعذابه إن

---

(١) سيرة عمر بن عبد العزيز / ١٣٤ - ١٣٦ ، وانظر تاريخ دمشق ٤٥ / ١٥٢ .

جهر بالحق ، أو أن يتعرض لسخط الله جل وعلا وعذابه إن جهر بالباطل، فأثر طلب رضوان الله سبحانه واجتناب سخطه وعذابه فكفاه شر عباده .

### مشورته على سليمان بن عبد الملك في الحكم :

قال أبو محمد ابن عبد الحكم : وشاور سليمان بن عبد الملك عمر ابن عبد العزيز في رجل سب سليمان فقال: ما ترى فيه ؟ فقال من حوله : اكتب بضرب عنقه - وعمر بن عبد العزيز ساكت - فقال: مالك لا تتكلم يا عمر ؟! فقال : أما إذا سألتني فلا أعلم سبَّه أحلت دم مسلم إلا سبة نبي ، قال : فقاموا وقام فقال سليمان: الله بلادك يا عمر لو قرشي طبخت في مرقته لأنضجتها <sup>(١)</sup> .

ولقد حدث في عهد أمير المؤمنين عمر بن عبد العزيز أن رجلاً من الخوارج شتمه ، كما ذكر ذلك ابن عبد الحكم قال: وحكم رجل

---

(١) سيرة عمر بن عبد العزيز / ١٣١-١٣٢، والمقصود بالمرقة اللحم، والمراد وصفه بالقوة والحزم .

في مسجد رسول الله ﷺ<sup>(١)</sup> - وأبو بكر بن محمد في صلاته - فقطع عليهم الصلاة وشهر السيف . فكتب أبو بكر إلى عمر . فأُتي بكتاب عمر فقرأ عليه فشتّم عمر والكتاب ومن جاء به . فهمّ أبو بكر بضرب عنقه ثم راجع عمر وأخبره أنه شتمه وأنه همّ بقتله . فكتب إليه عمر : لو قتلته لقتلتك به ، فإنه لا يُقتل أحدٌ بشتّم أحدٍ إلا أن يشتم النبي ﷺ ، فإذا أتاك كتابي هذا فاحبس عن المسلمين شره، وادّعه إلى التوبة في كل هلال ، فإذا تاب فخلّ سبيله ، فلم يزل في الحبس حتى هلك عمر فضرب يزيد بن عبد الملك عنقه .

وهكذا كان علم عمر بن عبد العزيز وورعه عاصمين له من الظلم، فالورع وحده لا يكفي في العصمة بدون العلم بالشرع لأن المسلم بدون العلم قد يقع في المخالفات عن جهل ، والعلم وحده لا يكفي لأن المسلم قد يعلم الحكم ولكنه لا يطبقه اتباعاً للهوى، وقد تميز عمر بن عبد العزيز في معاملة الخوارج بالعدل والحكمة .

---

(١) يعني قال : لا حكم إلا الله .



### **إنكاره على سليمان بن عبد الملك في الإنفاق :**

قال أبو محمد ابن عبد الحكم: وقدم سليمان بن عبد الملك المدينة فأعطى بها مالا عظيماً ، فقال لعمر بن عبد العزيز: كيف رأيت ما فعلنا يا أبا حفص ؟ قال: رأيتك زدت أهل الغنى غنى وتركت أهل الفقر بفقرهم<sup>(١)</sup>.

فهذا تقويم جيد من عمر بن عبد العزيز لعمل سليمان بن عبد الملك، فقد كان سليمان - لجهله بدقائق أحكام الشريعة في مجال الإنفاق- يظن أنه بإنفاقه ذلك المال الكثير على الرعية قد عمل صالحاً، فأفاده عمر بن عبد العزيز بأنه قد أخطأ حينما صرف ذلك المال لغير مستحقه وحرّم منه أهله .

### **إنكاره على سليمان بن عبد الملك في تحكيمة كتاب أبيه :**

ذكر ابن عبد الحكم رحمه الله في روايته عن شيوخه قال: وكلم عمر بن عبد العزيز سليمان بن عبد الملك في ميراث بعض بنات عبد العزيز من بني عبد الملك ، فقال له سليمان بن عبد الملك : إن

---

(١) سيرة عمر بن عبد العزيز / ١٣١ .

عبد الملك كتب في ذلك كتاباً منعهن ذلك ، فتركه يسيراً ثم راجعه ،  
فظن سليمان أنه اتهمه فيما ذكر من رأي عبد الملك في ذلك الأمر فقال  
سليمان لغلامه: إئتني بكتاب عبد الملك ، فقال له عمر : أبا المصحف  
دعوت يا أمير المؤمنين ؟ فقال أيوب بن سليمان : ليوشكن أحدكم أن  
يتكلم الكلام تضرب فيه عنقه ، فقال له عمر : إذا أفضى الأمر إليك  
فالذي دخل على المسلمين أعظم مما تذكر ، فزجر سليمان أيوب ، فقال  
عمر: إن كان جهل فما حلّمنا عنه ؟<sup>(١)</sup>.

فهذا موقف من مواقف الجرأة في قول الحق الذي يُحمد لعمر  
حيث عدّ سليمان بن عبد الملك كتاب أبيه شرعاً لا يمكن تغييره ،  
فنبّه عمر إلى أن الكتاب الذي لا يُنقض ولا يغيّر هو كتاب الله تعالى  
وحده.

وهكذا يصل الطغيان بضحاياه إلى تعظيم شأن الآباء والأجداد  
الذين ورّثوا ذلك المجد الزائل لأبنائهم إلى الحد الذي يعدّون فيه

---

(١) سيرة عمر بن عبد العزيز لابن عبد الحكم ٣١ وانظر سيرة عمر بن عبد العزيز لابن  
الجوزي / ٢٩ .

قضاءهم شرعاً نافذاً من غير نظر في موافقته لحكم الإسلام أو مخالفته.

وموقف يذكر لسليمان حيث وبَّخ ولده الذي هدد عمر أن قال كلمة الحق ، وهذا يدل على ما يتصف به سليمان من سرعة الرجوع إلى الحق إذا تبين له ، كما أن من فضائله جعل عمر بن عبد العزيز مستشاراً له ومن خاصته الأقربين ، ثم عقد الخلافة له من بعده .

#### **عزله ولالة السوء :**

إن من أهم المواقف الجريئة التي قام بها أمير المؤمنين عمر بن عبد العزيز رحمه الله إقدامه على عزل ولالة السوء الذين اشتهروا بالظلم، وكان أول عمر قام به عزل أسامة بن زيد التنوخي ويزيد بن أبي مسلم ، قال ابن عبد الحكم في ذلك : وكتب بعزل أسامة بن زيد التنوخي، وكان على خراج مصر ، وأمر به أن يجلس في كل جند سنة، ويقيد ويحل عن القيد عند كل صلاة، ثم يرد إلى القيد ، وكان غاشماً ظلوماً معتدياً في العقوبات بغير ما أنزل الله عز وجل يقطع الأيدي في

خلاف ما يؤمر به ، ويشق أجواف الدواب فيدخل فيها القطائع<sup>(١)</sup>  
ويطرحهم للتماسيح ، فحُبس بمصر سنة ، ثم نقل إلى أرض فلسطين  
فحبس بها سنة ، ثم مات عمر رحمه الله وولي يزيد بن عبد الملك فردَّ  
أسامة على مصر .

قال : وكتب بعزل يزيد بن أبي مسلم عن أفريقية وكان عامل  
سوء، يُظهر التَّأَلُّه والنفاذ لكل ما أمر به السلطان مما جَلَّ أو صغر من  
السيرة بالجور والمخالفة للحق ، وكان في هذا يُكثر الذكر والتسبيح،  
ويأمر بالقوم فيكونون بين يديه يعذبون وهو يقول : سبحان الله  
والحمد لله ، شَدَّ يا غلام موضع كذا وكذا لبعض مواضع العذاب،  
وهو يقول : لا إله إلا الله والله أكبر شَدَّ يا غلام موضع كذا وكذا ،  
فكانت حالته تلك شر الحالات<sup>(٢)</sup> .

وهكذا كان أول عمل قام به عمر هو عزل هذين الواليين  
الظالمين، كما جاء في رواية ابن عبد الحكم أنه كتب كتابيَّ عزلهما بعد

---

(١) لعل المراد الأيدي المقطوعة .

(٢) سيرة عمر بن عبد العزيز / ٣٧ - ٣٨ ، وأفريقية كانت تطلق عند العرب على تونس  
والجزائر والمغرب، وتطلق اليوم على القارة كلها - معجم أماكن الفتوح / ١٤ - .

دفن سليمان بن عبد الملك وقبل رجوع عمر إلى بيته، مما يدل على شدة اهتمامه بإقرار العدل ورفع الظلم .

فهذان الواليان قد نسيا عبوديتهما لله تعالى ، فلم يصاحبهما الشعور بأنهما ومن فوقهما في المسؤولية منفذون لشريعة الله تعالى، مستسلمون لأوامره ، بل كان الشعور الذي يسيطر عليهما هو محاولة إرضاء طموحهما نحو الطغيان والتجبر على الرعية، وإرضاء من فوقهما من المسؤولين لاعتقادهما بأن إذلال الناس يقربهما من المسؤولين.

وهذا الشعور الضاغط الذي يلزم الطغاة ويهيمن على تفكيرهم ينسيهم أي تفكير نحو إصلاح الرعية والإحسان إليهم لأن همهم منصرف إلى مدى البراعة في إتقان مجال النفاق والمداينة لمن هم فوقهم، وتحصيل رضاهم بأي ثمن ، وإن كان يترتب على ذلك سحق الله تعالى عليهم ، وكرهية الناس لهم .

وفي الخبر الأخير مثل من التضليل بالتظاهر بالتدين حيث يُكثر ذلك الوالي من التسبيح والتهليل والتكبير، في الوقت الذي يتسلل فيه

برؤية المعذبين ، ويُصدر أوامره بالتشديد في تعذيبهم ، وهذا جهل منه وضلال ، ففي الوقت الذي يقول فيه لا إله إلا الله ، ينطق عمله الظالم بتعظيم غير الله تعالى ، لأن الله جل وعلا لا يرضى بالظلم، وإنما ينطوي فكر هذا الوالي الظالم على إرضاء شهوة الجبروت والطغيان في نفسه أو نفوس من يعمل لكسب رضاهم .

وإذا كان يقول : الله أكبر فكيف لم يجعل الله تعالى نُصَبَ عينيه وهو يعذب الناس؟ فهل كان الله عز وجل أكبر في فكره حقًا ، أم كان الأكبر هُم من يعظمهم من دون الله تعالى ؟

وهذا الاتجاه له نتائجه الخطيرة على عقيدة المسلمين وسلوكهم، ولهذا كان غضب الإمام العادل عمر بن عبد العزيز ، فإنه لم يكن بمعزل عن واقع الأمة قبل الخلافة ، فلما تولى أمر المسلمين سارع إلى عزل الولاة الظلمة الذين يعرقلون سير المجتمع نحو الصلاح .

### **قوته في الرجوع إلى الحق :**

ذكر الحافظ ابن عساكر من خبر يحيى بن سعيد وربيعه بن أبي عبد الرحمن قالا : كان عمر بن عبد العزيز يقول : ما من طينة أهون

علي فكّا ، ولا من كتاب أيسر علي ردّا من كتاب قضيت به ثم أبصرت  
أن الحق في غيره فنسخته <sup>(١)</sup> .

فهذا يدل على تغليبه نداء العقل السليم على نداء العواطف،  
وذلك مبعثه قوة ملاحظة الهدف الإسلامي الأعلى وهو ابتغاء  
رضوان الله تعالى والدار الآخرة ، فإذا كان الإيمان بهذا الهدف قويًا  
فإنه يتكون لدى صاحبه عزوف عن اتباع هوى النفس وقوة في  
الشخصية تبعث على عدم المبالاة بانتقادات الناس ولا فيما قد يتعرض  
له الجاه من اهتزاز لدى بعض الناس .

ومن ذلك ما أخرجه محمد بن سعد من خبر حسن بن القاسم  
الأزرقى : أنه كان عند عمر بن عبد العزيز ونفر من قریش يختصمون  
إليه فقضى بينهم ، فقال المقضي عليه : أصلحك الله إن لي بينة غائبة،  
فقال عمر : إني لا أؤخر القضاء بعد أن رأيت الحق لصاحبه، ولكن  
انطلق أنت فإن أتيتني ببينة وحق هو أحق من حقهم فأنا أول من رد  
قضائه على نفسه <sup>(٢)</sup> .

---

(١) تاريخ دمشق ١٩٤/٤٥ ، وانظر سيرة عمر بن عبد العزيز لابن الجوزي / ٦١ .

(٢) طبقات ابن سعد ٣٨٦/٥ .

### **تلذذه بتنفيذ الحق :**

ذكر الحافظ ابن الجوزي من خبر أبي بكر بن عمرو بن حزم قال قال لي عمر بن عبد العزيز : ما وجدت في إمارتي هذه شيئاً ألد من حق وافق هواي <sup>(١)</sup> .

وهكذا يعلن العظماء عن مواقع ملذاتهم.. إنهم لا يتلذذون بمتاع الدنيا الزائل مهما لمع بريقه وقويت جاذبيته، ولكنهم يعشقون المعاني السامية والمثل العالية التي من أبرزها تنفيذ الحق من انشراح النفس له .. إنها متعة روحية عالية لا يتذوقها إلا من صفا فكره وسمت مطالبه .

### **بيانه مهمة الحاكم :**

من مواقفه رحمه الله في بيان مهمة الحاكم قوله في إحدى خطبه : أيها الناس إنه ليس بعد نبيكم نبي ، وليس بعد الكتاب الذي أنزل إليكم كتاب ، فما أحل الله تعالى على لسان نبيه ﷺ فهو حلال إلى يوم القيامة ، وما حرم الله على لسان نبيه ﷺ فهو حرام إلى يوم القيامة ألا

---

(١) سيرة عمر بن عبد العزيز لابن الجوزي / ٢٠٧ .



إني لست بقاض ، وإنما أنا منقذٌ لله ، ولست بمبتدع ولكني متبع ألا إنه ليس لأحد أن يطاع في معصية الله عز وجل ، لست بخير منكم، ألا وإني أثقلكم حملاً ، يا أيها الناس إن أفضل العبادة أداء الفرائض واجتناب المحارم، أقول قولي هذا وأستغفر الله العظيم لي ولكم<sup>(١)</sup> .

فقد بين رحمه الله أن مهمة الحاكم أنه منفذ لشريعة الله تعالى في الأرض ، وذلك في أمور سياسة الأمة الداخلية والخارجية وأمور الجهاد لحماية الأمة ولتبليغ الإسلام، ثم في تنفيذ أحكام الإسلام التي يحكم بها القضاة كإقامة الحدود ورد المظالم، ثم في الإشراف والرقابة على سائر أمور الأمة .

وفي تحديد مهمة أمير المؤمنين بكونه منفذاً لشريعة الله تعالى بيان للخط السياسي الذي يجب أن يسير عليه ، فهو ليس مشرعاً مع الله جل وعلا ، ولا يجوز له أن يتأخر في تنفيذ شريعة الله تعالى .

ثم بين أنه - من ناحية المصدر الذي يتلقى منه - مُتَّبِعٌ للكتاب والسنة ومنهج الخلفاء الراشدين وليس بمبتدع شيئاً لم يسبق إليه، فإذا

---

(١) سيرة عمر بن عبد العزيز لابن عبد الحكم/ ٤١ - ٤٢، وانظر تاريخ دمشق ٤٥/ ١٧١ .

استنكر بعض الناس وجوه الإصلاح التي يقوم بها فليس ذلك لأنها أمور مبتدعة وإنما ذلك لكون بعض السنن أُميتت ، وأحيى الناس بدلاً منها البدع ، فصار المعروف منكراً والمنكر معروفاً عند بعض الناس .

ثم بين أن طاعة السلطان ليست مطلقة وإنما هي مقيدة بطاعة الله سبحانه ، فلا طاعة لمخلوق في معصية الخالق ، فإذا أمر الحاكم بأمر يتعارض مع شريعة الإسلام فلا يجوز تنفيذ أمره بل يجب تنبيهه ليرجع إلى الحق ، فينقذ نفسه وينقذ أُمته من مخالفة أمر الله تعالى .

ثم بين أنه لا تلازم بين المسؤولية والخيرية، فليس كون الإنسان مسؤولاً يحوّله أن يكون خيراً ممن هم تحت مسؤوليته ، وإنما كلما عظمت المسؤولية كانت التكاليف أشق وأثقل ، فمن كان مسؤولاً عن أسرته فقط ليس كمن هو مسؤول عن إدارة أو إمارة ، وصاحب الولاية العظمى هو أثقل المسلمين حملاً ، لأن كل مسؤول يأتي يوم القيامة فيناقش الحساب عن رعيته التي استرعاه الله إياها، كما قال النبي ﷺ «ما من وال على عشرة إلا جاء يوم القيامة مغلوله يده إلى

عنقه، فكَّه عدله أو أوبقه جوره « أخرجہ الإمام أحمد <sup>(١)</sup> .

ولقد كان عمر بن عبد العزيز بهذا الكلام دقيق الفهم لحقيقة  
الولاية حيث فهم أنها مَعْرَم وليست بمغنم ، وأنها لا تزيد صاحبها  
شرفاً ولا رفعة ، وإنما هي ابتلاء بعمل ثقیل متواصل ، إن أداه صاحبه  
على ما يُرضي الله تعالى كان عملاً صالحاً وأصبح نعمة على صاحبه،  
ودخل في زمرة من قال عنهم رسول الله ﷺ « سبعة يظلهم الله في ظله  
يوم لا ظل إلا ظله .. وذكر منهم الإمام العادل » <sup>(٢)</sup> ، وإن عمل فيه بما  
يسخط الله تعالى كان عملاً سيئاً وكان نقمة على صاحبه ودخل في  
زمرة من قال فيهم رسول الله ﷺ « اللهم من ولى من أمر أمتي شيئاً  
فشق عليهم فاشقق عليه » <sup>(٣)</sup> .

ثم ختم خطبته ببيان أن أفضل العبادة فعل الواجبات واجتناب  
المحرمات، وذلك مقتبس من قول رسول الله ﷺ فيما يرويه عن ربه

---

(١) المسند ٤٣١/٢، وصححه الشيخ الألباني - صحيح الجامع رقم (٥٥٧٢) .

(٢) صحيح البخاري رقم ١٤٢٣ الزكاة (٣/٢٩٢)، صحيح مسلم، زكاة رقم ١٠٣١ (ص ٧١٥) .

(٣) صحيح مسلم رقم ١٨٢٨، الإمارة (ص ١٤٥٨) .

جل وعلا « وما تقرب إلي عبدي بشيء أحب إلي مما افترضته عليه »<sup>(١)</sup>  
وذلك يشمل فعل الواجبات واجتناب المحرمات .  
وهذه الجملة تدل على عمق فهم عمر لشمول العبادة حيث  
جعل منها ترك المحرمات، وعلى فقهه حيث قدم ذلك على فعل  
النوافل .

\* \* \*

---

(١) صحيح البخاري، الرقاق، رقم ٦٥٠٢ (١١ / ٣٤٠) .

## من أخباره في العدل والاهتمام بالمسؤولية

### تذكره بالحساب الآخروي :

نقل الحافظ ابن كثير عن الشعبي قال: حج سليمان بن عبد الملك، فلما رأى الناس بالموسم قال لعمر بن عبد العزيز: ألا ترى هذا الخلق الذي لا يحصي عددهم إلا الله، ولا يسع رزقهم غيره!! فقال: يا أمير المؤمنين هؤلاء رعيك اليوم وهم خصماؤك عند الله. فبكى سليمان بكاءً شديداً، ثم قال: بالله أستعين<sup>(١)</sup>.

فهذا التذكر السريع من عمر بن عبد العزيز لمشاهد يوم القيامة يدل على عمق يقينه، حيث قارن سريعاً بين ما رآه من المشهد الدنيوي وما ينتظر من الحساب الآخروي، فذكر أمير المؤمنين سليمان بمسؤوليته عن جميع المسلمين.

### وعظه سليمان بن عبد الملك في رد المظالم :

ذكر الحافظ ابن الجوزي من خبر مكّي بن إبراهيم قال: كنا عند عبد العزيز بن أبي رواد في المسجد فارتفعت سحابة فجاءت برعد

---

(١) البداية والنهاية ٩/ ١٨٧ .

وبرق وصواعق ، ففزع القوم فتفرقنا ، فلما سكنت عدنا، فقال عبد العزيز : خرج سليمان بن عبد الملك يوماً إلى بعض البوادي فأصابهم نحو من هذا ففزع سليمان ونادى يا عمر يا عمر وكانوا - يعني بني أمية- إذا أصابتهم شدة فزعوا إلى عمر بن عبد العزيز ، فإذا عمر ينادي ها أنا ذا . قال : ألا ترى ؟ قال: يا أمير المؤمنين إنما هذا صوت نعمة فكيف لو سمعت صوت عذاب ؟ فقال: خذ هذه المائة ألف درهم وتصدق بها ، فقال عمر : أو خير من ذلك يا أمير المؤمنين ، قال وما هو ؟ قال قوم صحبوك في مظالم لهم لم يصلوا إليك، قال: فجلس سليمان فرد المظالم<sup>(١)</sup>.

وهكذا كان سلوك عمر بن عبد العزيز في التذكر والاعتبار عبرة لمن حوله ، فقد كان لتذكيره سليمان بن عبد الملك بعذاب الله تعالى أثر في خشيته وإنابته ، وقد كان من أثر ذلك أن وصل عمر إلى تذكيره بالعدل ورد الحقوق إلى أصحابها .

---

(١) سيرة عمر بن عبد العزيز / ٣٣ .

### رغبته في التأسي بجده عمر بن الخطاب رضي الله عنه :

أخرج الإمام أحمد بن حنبل من خبر جعفر بن برقان قال كتب عمر بن عبد العزيز إلى سالم بن عبد الله بن عمر<sup>(١)</sup>: «أما بعد فإن الله عز وجل ابتلاني بما ابتلاني به من هذا الأمر عن غير مشورة ولا طلب له ولكن كان ما قدر الله عز وجل فأسأل الله الذي ابتلاني بما ابتلاني أن يعينني عليه، فإذا جاءك كتابي هذا فابعث إلي بكتب عمر بن الخطاب وقضائه وسيرته في أهل العهد وأهل الذمة فإني متبع أثره وسائر سيرته إن أعانني الله على ذلك والسلام، فكتب إليه سالم: جاءني كتابك تذكر أن الله عز وجل ابتلاك بما ابتلاك به من هذا الأمر من غير طلب ولا مشورة كان منك ولكن ما كان قدر الله أن يبتليك ، فأسأل الله الذي ابتلاك بما ابتلاك به أن يعينك عليه فإنك لست في زمان عمر وليس عند رجال عمر ، فإن نويت الحق وأردته أعانك الله عليه وأتاح لك عمالا وأتاك بهم من حيث لا تحتسب فإن عون الله على قدر النية ،

---

(١) جاء في كتاب الزهد « سالم بن عمر » وصوابه ما أثبت لأن سالما هو ابن عبد الله بن عمر بن الخطاب .

فمن تمت نيته في الخير تم عون الله له ، ومن قصرت نيته قصر من العون بقدر ما قصر منه والسلام<sup>(١)</sup> .

فهذا طموح من أمير المؤمنين عمر بن عبد العزيز لما أراد التآسي بأمر المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه في أحكام أهل الذمة، حيث إنه في عهد قد تقرر هذه الأحكام فيه .

وما جاء في جواب سالم بن عبد الله بن عمر لا يعدُّ تيسُّاً لعمر ابن عبد العزيز ، وإنما هو تذكير له بما يتطلبه ذلك التآسي من التكامل، حيث إن تطبيق الأحكام الشرعية لا يؤدي مقاصده إلا إذا كان الولاة الذين سيتولون التنفيذ على مستوى هذه الأحكام فهمًا وقناعة ومقدرة على التنفيذ ، وقد أشار سالم إلى ما يمحو هذا التيسُّ ويفتح باب الأمل، وذلك بصلاح نية المسؤول الأعلى وتوجهه الصادق نحو الإصلاح، فإن صلاح النية في ذلك يترتب عليه عون الله تعالى وتوفيقه إلى اختيار هؤلاء الولاة المتقين الذين يكونون عونًا لأمر المؤمنين على معرفة الحق وتنفيذه .

---

(١) الزهد / ٣٠١-٣٠٢ ، وانظر سيرة عمر بن عبد العزيز لابن عبد الحكم / ١٢٢ .



### اتخاذ رقباء على نفسه ليستقيم على الحق :

أخرج الحافظ أبو نعيم من خبر عمرو بن مهاجر قال قال عمر ابن عبد العزيز : إذا رأيتني قد ملت عن الحق فضع يدك في تلبيبي ثم هزني، ثم قل : يا عمر ما تصنع ؟! <sup>(١)</sup>.

وذكر الحافظ ابن الجوزي من خبر أبي حازم قال : لما استخلف عمر بن عبد العزيز قال : انظروا رجلين من أفضل من تجدون، فجيء برجلين ، فكان إذا جلس مجلس الإمارة ألقى لهما وسادة قبالة فقال لهما : إنه مجلس شرّة وفتنة فلا يكن لكما عمل إلا النظر إلي، فإذا رأيتهما مني شيئاً لا يوافق الحق فخوفاني وذكراني بالله عز وجل <sup>(٢)</sup>.

فهذا مثل من تصميمه على الحكم بالحق ، وهو لكونه يعرف ضعف بني آدم، وأن الإنسان يسير في هذه الحياة بين أعداء لدودين : نفسه الأمارّة بالسوء التي تزين له اتباع الهوى ، والشيطان الرجيم الذي يوسوس له ويخادعه ويقلل في عينه مسالك الانحراف،

---

(١) حلية الأولياء ٢٩٢/٥، وانظر سيرة عمر بن عبد العزيز لابن الجوزي / ١٤٦.

(٢) سيرة عمر بن عبد العزيز / ١٤٦ - ١٤٧ .

ويضخم في عينه مهابة الناس، وشياطين الإنس الذين ما يزالون  
يفتلونه في الذروة والغارب ليسقطوا على مواقع الضعف فيه فينفذوا  
منها إلى السيطرة عليه وتسخيره لباطلهم، فهو لكونه يعرف ذلك كله  
لم يعتمد على ما يرى من قوة إيمانه وعزمه الأكيد على تنفيذ الحق  
ودحر الباطل ، بل جعل على نفسه رقباء من أهل التقوى بعيداً عن  
ساحة المعركة التي يخوضها هو ليدرك ما قد يفوته أو يغلب عليه من  
مناحي الانحراف عن الطريق المستقيم .

وفي تعبيره عن الطريقة التي أرشد إليها ذلك العالم في الرواية  
الأولى في تنبيهه إلى الحق مثل من تواضعه الكبير ، وتجرده من حظ  
النفس ، واعتباره تنفيذ الحق أعلى من مراعاة الجاه والمنزلة الاجتماعية .

#### **ما قام به من رد المظالم :**

قال ابن عبد الحكم - في بيان ما قام به أمير المؤمنين عمر بن عبد  
العزیز بعد توليه الخلافة - : واحتجب عن الناس ثلاثاً لا يدخل عليه  
أحد، ووجوه بني مروان وبني أمية وأشراف الجنود والعرب والقواد  
ببابه ينظرون ما يخرج به عليهم منه، فجلس للناس بعد ثلاث وحملهم

على شريعة من الحق فعرفوها ، فرد المظالم وأحيا الكتاب والسنة وسار بالعدل ، ورفض الدنيا وزهد فيها، وتجرد لإحياء أمر الله عز وجل، فلم يزل على ذلك حتى قبضه الله عز وجل، فرحمه الله<sup>(١)</sup>.

وهكذا رسم أمير المؤمنين عمر بن عبد العزيز سياسته التي سيسير عليها، حيث أحصى المظالم فردها إلى أصحابها ، وكان قويا في فرض الحق، فلم يخش المعارضين مع كثرتهم وتخزبهم ، ولم يخش أحداً من الظلمة ، لأنه كان يخشى الله تعالى وحده ، حيث أصبح قلبه مملوءاً بالإيمان بالله جل وعلا وحبه وخشيته ، ولم يكن لمراكز القوى المحيطة به أي أثر في صده عن تنفيذ الحق ، لأن قلبه قد تجرد للإيمان بالله تعالى وحده فلم يستطع الشيطان أن يغريه بالدنيا ولا أن يخيفه بأصحاب النفوذ ولا من وراءهم من طلاب الدنيا .

### **بدوه بنفسه وأهل بيته :**

ومن عدالته أنه بدأ بنفسه وأهل بيته، وفي ذلك يقول أبو بكر بن سبرة : لما رد عمر بن عبد العزيز المظالم قال : إنه لينبغي أن لا أبدأ

---

(١) سيرة عمر بن عبد العزيز لابن عبد الحكم / ٤٠ .

بأول من نفسي ، فنظر إلى ما في يديه من أرض أو متاع فخرج منه ،  
حتى نظر إلى فص خاتم فقال: هذا مما كان الوليد بن عبد الملك  
أعطانيه مما جاءه من أرض المغرب ، فخرج منه <sup>(١)</sup> .

ومن ذلك ما جاء في قول عبد المجيد بن سهيل: رأيت عمر بن  
عبد العزيز بدأ بأهل بيته فرد ما كان بأيديهم من المظالم ثم فعل بالناس  
بعد <sup>(٢)</sup> .

ولقد سهل على الناس وصول حقوقهم إليهم، وفي ذلك يقول  
أبو الزناد : وكان عمر يرد المظالم على أهلها بغير البيئة القاطعة، كان  
يكتفي بأيسر من ذلك ، إذا عرف وجهًا من مظلمة الرجل ردها عليه  
ولم يكلفه تحقيق البيئة لما كان يعرف من غشم الولاية <sup>(٣)</sup> .

---

(١) طبقات ابن سعد ٣٤١ / ٥ .

(٢) المرجع السابق ٣٤١ / ٥ .

(٣) المراجع السابق ٣٤٢ / ٥ .

### من كتاباته في رد المظالم:

ومن كتاباته إلى الولاة في رد المظالم ما رواه عبد الرحمن بن أبي الزناد عن أبيه قال: كتب إلينا عمر بن عبد العزيز بالعراق في رد المظالم إلى أهلها، فرددناها حتى أنفذنا ما في بيت مال العراق، وحتى حمل إلينا عمر المال من الشام<sup>(١)</sup>.

وكذلك ما جاء في خبر أبي بكر بن محمد بن عمرو بن حزم: وإلى المدينة قال: كتب إلي عمر بن عبد العزيز: أن استبرئ الدواوين فانظر إلى كل جور جاره من قبلي من حق مسلم أو معاهد فرده عليه، فإن كان أهل تلك المظلمة قد ماتوا فادفعه إلى ورثتهم.

وجاء في هذا الكتاب - كما ذكر موسى بن عبيدة - وإياك والجلوس في بيتك، اخرج للناس فأس بينهم في المجلس والمنظر، ولا يكن أحد من الناس أثر عندك من أحد، ولا تقولن هؤلاء من أهل بيت أمير المؤمنين، فإن أهل بيت أمير المؤمنين وغيرهم عندي اليوم سواء، بل أنا أحرى أن أظن بأهل بيت أمير المؤمنين أنهم يقهرون من

---

(١) طبقات ابن سعد ٣٤٢/٥.

نازعهم، وإذا أشكل عليك شيء فاكذب إلي فيه<sup>(١)</sup>.

وهذا من كمال عدله ومساواته بين المسلمين، وذلك يدل على قوة إيمانه ورجاحة عقله.

ولقد كان رد المظالم عملاً كبيراً استغرق خلافة عمر بن عبد العزيز كلها كما جاء في خبر سليمان بن موسى قال: ما زال عمر بن عبد العزيز يرد المظالم منذ يوم استخلف إلى يوم مات<sup>(٢)</sup>.

#### **حرصه على الإسراع في رد المظالم:**

ولقد كان حريصاً على الإسراع برد المظالم إبراء للذمة وخوفاً من حلول الأجل قبل إكمال ذلك، ومن أخباره في ذلك ما أخرجه محمد ابن سعد من خبر أيوب بن موسى قال: كتب عمر بن عبد العزيز إلى عروة عامله على اليمن: أما بعد فإني أكتب إليك أمرك أن ترد على المسلمين مظالمهم فتراجعني ولا تعرف بُعد مسافة ما بيني وبينك، ولا تعرف أحداث الموت، حتى لو كتبت إليك أن اردد على مسلم مظلمة

---

(١) طبقات ابن سعد ٣٤٢/٥ - ٣٤٣.

(٢) المرجع السابق ٣٤١/٥.

شاة لكتبت: أردھا عذراء أو سوداء، فانظر أن ترد على المسلمين  
مظالمهم ولا تراجعني<sup>(١)</sup>.

وهكذا بين أمير المؤمنين عمر بن عبد العزيز لواليه على اليمن  
عروة بن محمد بن عطية السعدي أهمية الإسراع في رد المظالم وأن لا  
يضيع الوقت بالكتابات الاستفسارية عن أمور واضحة، وفي هذا  
لفت نظر إلى أن من أسباب نجاح الوالي أن يتصرف باجتهاده في  
الأمر التي لا غموض فيها ولا لبس، من باب كسب الوقت  
والسرعة في الإصلاح.

#### **مثل من صرامته وما لقي من عشيرته :**

أخرج الحافظ أبو نعيم الأصبهاني من خبر إسماعيل بن أبي  
حكيم قال أتى عمر بن عبد العزيز كتاب من بعض بني مروان  
فأغضبه ثم قال : إن لله في بني مروان ذبحًا، وإيم الله لئن كان الذبح  
على يدي.. فلما بلغهم ذلك كفوا، وكانوا يعلمون صرامته وأنه إن وقع

---

(١) صفات ابن سد ٥ / ٣٨١.

في أمر مضي فيه<sup>(١)</sup>.

وقوله «إن لله في بني مروان ذبحا» لعله أخذه من سنة الله تعالى الجارية في الانتقام من الظالمين، وأن الله سبحانه يمهلهم بعض الوقت ولا يهملهم، فإذا أراد الانتقام منهم أخذهم أخذ عزيز مقتدر.

### مساواته بين عشيرته وسائر المسلمين:

ذكر الحافظ ابن الجوزي من خبر الإمام الأوزاعي قال: لما قطع عمر ابن عبد العزيز على أهل بيته ما كان يجري عليهم من أرزاق الخاصة وأمرهم بالانصراف إلى منازلهم تكلم في ذلك عنبة بن سعيد فقال: يا أمير المؤمنين إن لنا قرابة، قال: لن يتسع مالي لكم، وأما هذا المال فحقكم فيه كحق رجل بأقصى برك الغماد، فلا يمنعه من أخذه حقه إلا بُعد مكانه، والله إني لأرى أن الأمور لو استحالت حتى يصبح أهل الأرض يرون مثل رأيكم لنزلت بهم بائلة من عذاب الله<sup>(٢)</sup>.

وهذا مثل من كمال عدله حيث تنزه عن محابة عشيرته، وفي

---

(١) حلبة الأولياء ٢٨١/٥.

(٢) سيرة عمر بن عبد العزيز/ ٩٥، وبرك الغماد موضع وراء مكة بخمس ليال مما يلي البحر،

وقيل بلد في اليمن - معجم البلدان ١/ ٤٧٥ - .



إخباره عن نزول عذاب الله تعالى تصوير لسنة من سنن الله جل وعلا، وذلك أنه كلما تمحضت الأرض للشر كانت مهددة بنزول عذاب من عند الله تعالى، ولكنه سبحانه يدرأ عنها العذاب استجابة لدعاء الصالحين، ولذلك فإن المؤمن الحق يستأنس بكثرة الصالحين، ويستوحش من كثرة الفاسقين والمفسدين في الأرض.

وذكر الحافظ أبو نعيم من خبر عمر بن مقدم قال: قال ابن سليمان بن عبد الملك لمزاحم: إن لي حاجة إلى أمير المؤمنين عمر، قال فاستأذنت له فقال: أدخله، فأدخلته على عمر فقال ابن سليمان: يا أمير المؤمنين علام ترد قطيعتي؟ قال: معاذ الله أن أرد قطيعة صحت في الإسلام. قال فهذا كتابي وأخرج كتابا من كمي، فقرأه عمر فقال: لمن كانت هذه الأرض؟ قال للفاسق ابن الحجاج. قال عمر: فهو أولى بهاله، قال: فإنها من بيت مال المسلمين، قال فالمسلمون أولى بها قال: يا أمير المؤمنين رد علي كتابي، قال: لو لم تأتني به لم أسألكه، فأما إذ جئتني به فلا ندعك تطلب بباطل، قال: فبكى ابن سليمان، قال

مزاحم: فقلت: يا أمير المؤمنين ابن سليمان اللائط الحب<sup>(١)</sup> اللازق بالقلب تصنع به هذا؟ قال: ويحك يا مزاحم إنها نفسي أحاول عنها، وإني لأجد له من اللوط ما أجد لولدي<sup>(٢)</sup>.

وهكذا كان أمير المؤمنين عمر بن عبد العزيز في تجاذب نفسي بين مقام العدل بعدم تخصيص أفراد عشيرته بشيء دون أفراد الأمة وبين مقام الرحمة بمن يحبهم من أفراد عشيرته ممن يشعرون بأنهم قد تضرروا بحكمه، ولكن ليس هناك مجال للموازنة بين الأمرين لوضوح وجوب العدل وعدم الالتفات إلى عاطفة النفس لأن عاقبة ترك الواجب خضوعاً للعاطفة هي الهلاك في الآخرة، ولا يمكن عقد مقارنة بين الدنيا والآخرة.

#### **إنصافه الرجل الحمصي من العباس بن الوليد:**

ذكر الحافظ ابن الجوزي من خبر عبد العزيز بن عمر بن عبد العزيز قال: لما دفن عمر سليمان صعد إلى المنبر فقال: «إني قد خلعت

---

(١) أي الشديد الحب من لاط يلو ط لوطا.

(٢) حلية الأولياء ٥ / ٢٨١-٢٨٢، وانظر سيرة عمر بن عبد العزيز لابن الجوزي / ٩٨.

ما في أعناقكم من بيعتي فاختراروا لأنفسكم، فصاح الناس صيحة واحدة: قد اخترناك» فنزل فدخل فأمر بالسُّتور فهتكت، والثياب التي كانت تبسط للخلفاء فحملت وأمر ببيعها وإدخالها - أو قال إدخال ثمنها- بيت المال، ثم ذهب يتبوأ مقيلاً، فقال ابنه عبد الملك تقيل ولا ترد المظالم؟ قال أي بني قد سهرت البارحة في أمر عمك سليمان، فإذا صليت الظهر رددت المظالم، قال من لك أن تعيش إلى الظهر؟ فخرج ولم يَقْلْ، فأمر منادياً أن ينادي: ألا من كانت له مظلمة فليرفعها، فقام إليه رجل ذمي من أهل حمص أبيض الرأس واللحية، فقال يا أمير المؤمنين أسألك كتاب الله قال وما ذاك؟ قال: العباس بن الوليد بن عبد الملك اغتصبني أرضي - والعباس جالس - فقال له: يا عباس ما تقول؟ قال أقطعنيها أمير المؤمنين الوليد بن عبد الملك وكتب لي بها سجلاً، فقال ما تقول يا ذمي؟ قال يا أمير المؤمنين أسألك كتاب الله عز وجل، فقال عمر: كتاب الله أحق أن يتبع من كتاب الوليد بن عبد الملك، اردد عليه يا عباس ضيعته، فرد عليه، فجعل لا يدع شيئاً مما كان في يده وفي يد أهل بيته من المظالم إلا ردها

مظلمة مظلمة<sup>(١)</sup>.

فهذا مثل من صرامة عمر بن عبد العزيز وحزمه في تطبيق الأحكام الشرعية، فهو لين رحيم فيما يتعلق بنفسه ولكنه قوي شديد فيما يتعلق بأحكام الله تعالى.

وفي هذا الخبر مثل من انقلاب المفاهيم عند أهل الدنيا، فالحق عند هذا الرجل المعتدي هو ما قرره أبوه الوليد وإن كان ظالماً معتدياً من غير نظر فيما ينجيه من المسؤولية أمام الله تعالى يوم القيامة، وما أعظم خسارة هؤلاء الذين يعتدون على أموال الناس ولا يردعهم من ذلك إلا قوة السلطان!! فإنهم قد خسروا دنياهم لانتزاعها منهم بالقوة وخسروا آخرتهم لأنهم ليس لهم نية في إنصاف المظلومين ورد حقوقهم إليهم.

---

(١) سيرة عمر بن عبد العزيز / ٨٦.

### نزعہ إقطاع أحد الرجال:

أخرج الحافظ أبو نعيم الأصبهاني من خبر إبراهيم بن هشام بن يحيى الغساني: حدثني أبي عن جدي قال: كنت عند هشام بن عبد الملك جالسًا، فأتاه رجل فقال يا أمير المؤمنين إن عبد الملك أقطع جدي قطيعة فأقرها الوليد وسليمان حتى إذا استخلف عمر رحمه الله نزعها، فقال له هشام أعد مقاتلك فقال: يا أمير المؤمنين إن عبد الملك أقطع جدي قطيعة فأقرها الوليد وسليمان، حتى إذا استخلف عمر رحمه الله نزعها، فقال والله إن فيك لعجبا، إنك تذكر من أقطع جدك قطيعة ومن أقرها فلا تترحم عليهم وتذكر من نزعها فتترحم عليه، وإنا قد أمضينا ما صنع عمر رحمه الله<sup>(١)</sup>.

في هذا الخبر موقفان أحدهما لأمير المؤمنين عمر بن عبد العزيز رحمه الله تعالى حيث رد ذلك الإقطاع الذي أعطيه ذلك الرجل بغير حق إلى بيت مال المسلمين.

والثاني موقف لأمير المؤمنين هشام بن عبد الملك رحمه الله تعالى،

---

(١) حلية الأولياء ٥ / ٢٤٥.

حيث حكم بالحق ولم تأخذه العصبية لأبيه عبد الملك وأخويه الوليد وسليمان فأقر حكم عمر بن عبد العزيز، وقد تعجب من ذلك الرجل المتظلم حيث ترحم على عمر بن عبد العزيز الذي نزع منه القطعة ولم يترحم على عبد الملك الذي أقطع جده تلك القطيعة ولا على الوليد وسليمان اللذين أقرها، وهذا يعني أن هناك إحساسًا لدى أفراد الأمة بعدالة عمر بن عبد العزيز وصلاحه حتى بالنسبة لمن تضرروا منه في دنياهم.

#### **مثل من حكمته وموقف لابنه عبد الملك :**

أخرج الحافظ أبو نعيم من خبر جويرية بن أسماء. قال: قال عبد الملك بن عمر بن عبد العزيز لأبيه عمر: ما يمنعك أن تنفذ لرأيك في هذا الأمر؟ فو الله ما كنت أبالي أن تغلي بي وبك القدور في إنفاذ هذا الأمر، فقال عمر: إني أروض الناس رياضة الصعب، فإن أبقاني الله مضيت لرأيي، وإن عجلت علي منية فقد علم الله نيتي، إني أخاف إن بادht الناس بالتي تقول أن يلجئوني إلى السيف، ولا خير في خير لا

يجيء إلا بالسيف<sup>(١)</sup>.

وأخرج الحافظ أبو نعيم من طريقين: أن عبد الملك بن عمر بن عبد العزيز دخل على عمر فقال: يا أمير المؤمنين إن لي إليك حاجة فأخطني - وعنده مسلمة بن عبد الملك - فقال له عمر: أسرّ دون عمك؟ فقال نعم، فقام مسلمة وخرج، وجلس بين يديه فقال له: يا أمير المؤمنين ما أنت قائل لربك غدا إذا سألك فقال رأيت بدعة فلم تمتها، أو سنة لم تحيها؟ فقال: له يا بني شيء حملته الرعية إلي، أم رأي رأيت من قبل نفسك؟ قال: لا والله ولكن رأي رأيت من قبل نفسي، وعرفت أنك مسؤول فما أنت قائل؟ فقال له أبوه: رحمك الله وجزاك من ولد خيرًا، فو الله إني لأرجو أن تكون من الأعوان على الخير، يا بني إن قومك قد شدوا هذا الأمر عقدة عقدة وعروة عروة، ومتى ما أريد مكابرتهم على انتزاع ما في أيديهم لم آمن أن يفتقوا علي فتقا تكثر فيه الدماء، والله لزوال الدنيا أهون علي من أن يهراق في سببي محجمة

---

(١) حلية الأولياء ٥ / ٢٨١.

من دم، أو ما ترضى أن لا يأتي على أبيك يوم من أيام الدنيا إلا وهو يमित فيه بدعة ويحيى فيه سنة، حتى يحكم الله بيننا وبين قومنا بالحق وهو خير الحاكمين<sup>(١)</sup>.

وهكذا كان أمير المؤمنين عمر بن عبد العزيز حكيماً يوازن بين المصالح والمفاسد، فلا يتجه إلى تغيير منكر يترتب عليه منكر أكبر منه، لأن درء المفاسد مقدم على جلب المصالح، فبقاء الناس على ما هم فيه من بعض الظلم أولى من سفك دماء المسلمين إذا كان رد المظالم بسرعة سيترتب عليه ذلك، ولكن الحكمة تقتضي التمهّل في ذلك وسياسة الناس بالتدرج حتى ترجع الحقوق إلى أصحابها ويرتدع الظالمون دون حدوث فتنة دموية.

ولقد كان ابنه عبد الملك شديد التحمس لرد المظالم دفعة واحدة فهو شاب قوي الإيمان، لكنه لم يكن في مستوى أبيه من الحكمة والفقّه في تطبيق الأحكام الشرعية.

---

(١) حلية الأولياء ٥/ ٢٨١ - ٢٨٣.



### حواره مع هشام بن عبد الملك وسعيد بن خالد :

أخرج الحافظ أبو نعيم الأصبهاني من خبر بشر بن عبد الله بن عمر عن بعض آل عمر أن هشام بن عبد الملك قال لعمر بن عبد العزيز: يا أمير المؤمنين إني رسول قومك إليك، وإن في أنفسهم ما أكلمك به، إنهم يقولون استأنف العمل برأيك فيما تحت يديك، وخلّ بين من سبقك وبين ما ولوا ممن كانوا يلون أمره بما عليهم ولهم فقال له عمر: أرأيت لو أُتيتُ بسجلين أحدهما من معاوية والآخر من عبد الملك بأمر واحد فبأي السجلين كنت آخذ؟ قال بالأقدم ولا أعدل به شيئاً، قال عمر: فإني وجدت كتاب الله الأقدم فأنا حامل عليه من أتاني ممن تحت يدي في مالي وفيما سبقني.

فقال له سعيد بن خالد بن عمرو بن عثمان: يا أمير المؤمنين امض لرأيك فيما وليت بالحق والعدل، وخلّ عمن سبقك وعمّا ولي خيره وشره، فإنك مكثت بذلك. فقال له عمر: أنشدك الله الذي إليه تعود أرأيت لو أن رجلاً هلك وترك بنين صغاراً وكباراً فغز الأكابر الأصاغر بقوتهم فأكلوا أموالهم، فأدرك الأصاغر فجاءوك بهم وبما

صنعوا في أموالهم ما كنت صانعا؟ قال: كنت أرد عليهم حقوقهم حتى يستوفوها. قال: فإني قد وجدت كثيرا ممن قبلي من الولاة عزوا الناس بقوتهم وسلطانهم. وعزهم بها أتباعهم. فلما وليت أتوني بذلك، فلم يسعني إلا الرد على الضعيف من القوي، وعلى المستضعف من الشريف. فقال وفقك الله يا أمير المؤمنين<sup>(١)</sup>.

فهذان جوابان جليلان من أمير المؤمنين عمر بن عبد العزيز استطاع بهما أن يسكت هشام بن عبد الملك وسعيد بن خالد بن عمرو ابن عثمان اللذين حاوراه فيما قام به من رد الظالم، فقد سكت هشام ووافق سعيد بن خالد ودعا لعمر بن عبد العزيز، وهذا دليل على أن أولئك القوم الذين ورثوا الظلم يدركون أن ما تقدم به الولاة السابقون كان ظلماً، ويريدون من عمر بن عبد العزيز أن يترك الناس على مظالمهم فإنه ليس مسؤولاً عن ظلم من سبقه وأن يهتم فقط بتنزيه نفسه عن مباشرة الظلم، ولكنه أفهمهم بأنه لو أقر ظلم من سبقوه يكون شريكاً لهم في ظلمهم.

---

(١) حلية الأولياء ٥/ ٢٨٢.

### خطبته أمام الغرباء:

من مواقفه في العدل قوله في خطبة خاطب بها الغرباء فقال: يا أيها الناس الحقوا ببلاذكم فإني أنساكم عندي وأذكركم ببلاذكم، وإني قد استعملت عليكم رجالا لا أقول هم خياركم، ولكنهم خير ممن هم شر منهم، ألا فمن ظلمه إمامه مظلمة فلا إذن له عليّ، ومن لا فلا أرينّه، ألا وإني منعت نفسي وأهل بيتي هذا المال، فإن ضننت به عنكم إني إذا لضنين، والله لولا أن أنعش سُنَّة أو أسيرَ بحق ما أحببت أن أعيش فيكم فواقاً<sup>(١)</sup>.

وقول عمر بن عبد العزيز للغرباء: «فإني أنساكم عندي وأذكركم ببلاذكم» دليل على ضبطه أمور رعيته، وذلك بتولية الولاية الأكفء الذين يتفقدون أحوال الرعية ويرفعون حوائجهم لأمر المؤمنين مع متابعتهم إياهم .

---

(١) سيرة عمر بن عبد العزيز لابن عبد الحكم / ٤٢، والفواق قدر حلب الناقعة، وانظر سيرة عمر بن عبد العزيز لابن الجوزي / ٤٤، ٥٨، وتاريخ دمشق ٤٥ / ٢٠٠.

وقد بقي الغرباء في عاصمة الدولة ظناً منهم أن الولاية سينسونها كما نسيهم الولاة السابقون، وقد بين لهم عمر أنه لم يأل جهداً في اختيار الولاة الأكفاء الذين على يدهم يتم صلاح الرعية. ثم ذكر أن بابه مفتوح لسماع شكوى المظلومين الذين لم يستطع الولاة أن يرفعوا عنهم الظلم، أو وقع الظلم عليهم من الولاة أنفسهم.

أما من ليس له مظلمة وليس لديه مشورة أو إصلاح يهتّم الأمة فليس من المصلحة أن يتردد على المسؤول، لأن في ذلك إضاعة وقت عليه وعلى المسؤول، وذلك يترتب عليه إضاعة مصلحة المسلمين العامة، إضافة إلى أن المسلم مسؤول عن كل دقيقة تمر عليه بغير فائدة، ومن ذلك مراجعة المراجعين في قضايا يعلمون سلفاً أنهم لن يحصلوا فيها على شيء فإن ذلك لا فائدة فيه بل فيه ضرر إضاعة الوقت عليهم وعلى المسؤولين.

ثم يتحدث عن المال الذي هو عصب الحياة، والذي من أجله يقتتل المتنافسون على الدنيا، فيطمئن الرعية إلى أنه ليس من المعقول

أن يحرم منه نفسه وعشيرته ثم يحبسها عن الأمة.

إن الذي كان يحرم بعض الأمة من مال الدولة قبل عهد عمر كون المسؤولين على مختلف مستوياتهم ومن حولهم من المستفيدين منهم قد تمتعوا بنصيب كبير من ذلك المال إلى حد الإسراف والتبذير، فحينما جعل أمير المؤمنين عمر نفسه وعشيرته كأبي فرد من أفراد الرعية فإن بقية المسؤولين سيسرون على سنته، وبذلك سيتوافر مال كثير يعود على المحتاجين من الأمة، وقد حصل ذلك فعلا حيث كان الأغنياء يدورون بصدقاتهم في عهد عمر يبحثون عن الفقراء فلا يجدونهم، قد أغنى عمر الناس، كما جاءت الرواية بذلك.

ثم بين أنه ليس حريصاً على البقاء في الحكم إلا لهدفين: إحياء السُنن بعدما أُميتت، والحكم بالحق بعدما عم الباطل كثيراً من أرجاء الأرض، وهكذا يفهم عمر الولاية على أنها عمل صالح يتقرب به إلى الله عز وجل، ومن فهم هذا الفهم فإنه يبعد منه أن يظلم أو أن ينحرف عن طريق الحق، لأنه لو فعل ذلك لحصل له نقيض قصده، حيث سيكسب بالولاية أعمالاً سيئة، فيخسر في الوقت الذي يكون

هدفه أن يربح ويفلح.

#### رده منحة عنبسة بن سعيد :

من مواقفه الجريئة رحمه الله عدله في توزيع مال المسلمين ورفضه تخصيص أفراد عشيرته بشيء من ذلك، ومن أخبار ذلك ما ذكره ابن عبد الحكم في أخباره عن شيوخه قال: ولما ولي عمر بن عبد العزيز رد المظالم والقطائع، وكان سليمان بن عبد الملك قد أمر لعنبة بن سعيد ابن العاص بعشرين ألف دينار فدارت في الدواوين حتى انتهت إلى ديوان الختم فلم يبق إلا قبضها فتوفي سليمان قبل أن يقبضها وكان عنبة صديقاً لعمر بن عبد العزيز، فغدا عنبة يريد كلام عمر فيما أمر له به سليمان، فوجد بني أمية حضوراً بباب عمر يريدون الإذن عليه ليكلموه في أمورهم، فلما رأوا عنبة قالوا: ننظر ما يصنع به قبل أن نكلمه. فقالوا له: أعلم أمير المؤمنين مكاننا، وأعلمنا ما يصنع بك في أمورك، فدخل عنبة على عمر فقال له: يا أمير المؤمنين إن أمير المؤمنين سليمان قد كان أمر لي بعشرين ألف دينار حتى انتهت إلى ديون الختم، ولم يبق إلا قبضها، فتوفي على ذلك، وأمير المؤمنين أولى باستتمام الصنعة عندي، وما بيني وبينه أعظم مما

كان بيني وبين أمير المؤمنين سليمان، قال له عمر: كم ذلك؟ قال: عشرون ألف دينار، قال عمر: عشرون ألف دينار تُغني أربعة آلاف بيت من المسلمين، وأدفعها إلى رجل واحد!

والله مالي إلى ذلك من سبيل، قال: فرميت بالكتاب الذي فيه الصك، فقال لي عمر: لا عليك أن يكون معك فلعله أن يأتيك من هو أجراً على هذا المال مني فيأمر لك بها.

قال: عنبسة: فأخذته تبركاً برأيه، وقلت له: يا أمير المؤمنين فما بال جبل الورس؟<sup>(١)</sup> وكان جبل الورس قطعة لعمر بن عبد العزيز، فقال عمر: ذكرتني الطعن وكنت ناسياً، يا غلام هلم ذلك القفص فأُتي بقفص من جريد فيه قطائع بني عبد العزيز فقال: يا غلام اقرأ علي، فكلما قرأ قطعة قال: شقّها، حتى لم يبق في القفص شيء إلا شقه، قال عنبسة: فخرجت إلى بني أمية وهم وقوف بالباب فأعلمتهم ما كان من ذلك فقالوا: ليس بعد هذا شيء، ارجع إليه فاسأله أن يأذن لنا أن نلحق بالبلدان، فرجعت إليه فقلت: يا أمير المؤمنين إن قومك بالباب

---

(١) هو جبل في اليمن - معجم البلدان ٥/ ٥١٢ - .

يسألونك أن تجري عليهم ما كان من قبلك تجري عليهم، فقال عمر:  
والله ما هذا المال لي ومالي إلى ذلك من سبيل، قلت: يا أمير المؤمنين:  
فيسألونك أن تأذن لهم يضربون في البلدان، قال: ماشاؤوا ذلك  
لهم، وقد أذنت لهم، قال قلت: وأنا أيضًا، قال: وأنت أيضًا قد أذنت  
لك، ولكن أرى لك أن تقيم فإنك رجل كثير النقد وأنا أبيع تركة  
سليمان فلعلك أن تشتري منها ما يكون لك في ربحه عوض مما فاتك،  
قال: فأقمت تبركا برأيه فابتعت من تركة سليمان بمائة ألف فخرجت  
بها إلى العراق فبعتها بمئتي ألف، وحبست الصك، فلما توفي عمر  
وولي يزيد بن عبد الملك أتته بكتاب سليمان فأنفذ لي ما كان فيه<sup>(١)</sup>.

في هذا الخبر بيان جرأة الولاة قبل عمر بن عبد العزيز وبعده  
على أموال المسلمين، فكان الولاة يختصون عشائرتهم وكبار أهل الدنيا  
الذين يخشون منهم بكثير من هذا المال، ومن ذلك ما أمر به سليمان  
لعنيسة بن سعيد، ولكن عمر رد تلك المنحة وبين أنها تكفي لأربعة  
آلاف بيت من المسلمين، فكيف يعطيها لرجل واحد؟

---

(١) سيرة عمر بن عبد العزيز لابن عبد الحكم / ٥٨.



إن إعطاء القلة من ذوي النفوذ تلك العطايا الكبيرة على حساب بقاء أفراد الأمة في حاجة ومسغبة يعدُّ ظلمًا وإجحافًا كبيرًا، وهذا هو أهم الأمور التي نذر عمر نفسه للقضاء عليها.

لقد كان يدور في الأوساط السياسية آنذاك بأنه لا يصلح لسياسة الأمة إلا من كان نهايا وهابا، حيث يقوم بنهب أموال الأمة العامة ليستميل بها بعض الأكابر الذين يقومون بحماية الدولة وفرض سيطرتها، ولكن عمر بن عبد العزيز نجح في سياسته الإسلامية نجاحًا كبيرًا، وقد كان عفيفًا وهابا، كان عفيفًا عن أموال الأمة العامة، وهابا للمال للمحتاجين من الأمة ومن يقومون بأمرها بالقصد والاعتدال ، ومع أنه قد منع الأقوياء وأصحاب النفوذ من الخصوصيات التي كانت تمنح لهم فإنهم لم يستطيعوا أن يصنعوا شيئًا ضد دولته مع حرصهم على ذلك، لأن دولته أصبحت محمية من جميع أفراد الأمة الذين رجعت لهم حقوقهم، وتحسنت أحوالهم المعيشية. وحينما ذكَّره عنبسة بن سعيد بجبل الورد وهو أحد الإقطاعات التي آلت إليه من ولاية العهد السابق تمثل بالمثل المشهور:

«ذكرتني الطعن وكنت ناسيا» فدعا من فوره بأوراق الإقطاعات التي  
تخص بني عبد العزيز بن مروان فشققها جميعها.

وهو بهذا يبين للمستفيدين من الوضع السابق أنه أول من يطبق  
السياسة الإسلامية على نفسه وأسرته.

ولهذا يؤس بنو قومه من عودتهم إلى ما كانوا عليه من  
خصوصيات مالية، واستأذنوه في السفر ليعملوا في التجارة كما يعمل  
غيرهم من أبناء الأمة.

#### **إنصافه أحد الرعية من عامله عروة:**

قال أبو محمد عبد الله بن عبد الحكم: واستعمل عمر بن عبد  
العزيز عروة بن عياض بن عدي على مكة، فخرج عمر من مكة،  
وخرج معه من خرج يشيعه حتى نزل بمَرٍّ<sup>(١)</sup> ومعه عروة، فجاء رجل  
فقال: أصلح الله أمير المؤمنين، ظلمت ولا أستطيع أن أتكلم، فقال  
عمر: ويحه أخذت عليه يمين ثم قال: إن كنت صادقاً فتكلم  
فقال: أصلحك الله، هذا- وأشار إلى عروة- سامني بما لي وأعطاني

---

(١) يعني مَرَّ الظهران وهو مكان قرب مكة.

به ستة آلاف درهم، فأبيت أن أبيعته فاستعداه عليّ غريم لي فحبسني فلم يخرجني حتى بعته مالي بثلاثة آلاف درهم، واستحلفني بالطلاق إن خاصمته أبداً، فنظر عمر إلى عروة ثم نكت بالخيزران بين عينيه في سجدته وقال هذه غرتني منك ثم قال للرجل: اذهب فقد رددت عليك مالك ولا حنت عليك<sup>(١)</sup>.

وهكذا ابتلى أمير المؤمنين عمر بن عبد العزيز ببعض الولاة الذين انخدع بمظهرهم الديني، فكانت سرائرهم تختلف عن علانيتهم، فهذا الوالي الذي ولاه عمر على مكة كان يظن أنه من العابدين، ومن كانوا كذلك فلا يتوقع منهم أن يرتكبوا شيئاً من ظلم العباد، ولكنه وقع في الظلم المذكور في الخبر وأحاط ظلمه بما يكفل له عدم وصول خبره إلى أمير المؤمنين، ولكن ذلك المظلوم وصل إليه وقدم له شكواه فأنصفه، ولم يكن أمير المؤمنين بحاجة إلى استفتاء العلماء في موضوع الطلاق المذكور لأنه كان من أبرز علماء عصره، فلذلك أفتاه في الحال بعدم وقوع الطلاق عليه لأنه مكره، ولا يقع

---

(١) سيرة عمر بن عبد العزيز / ١٣٤.

الطلاق مع الإكراه.

### إنصافه أهل سمرقند<sup>(١)</sup> :

أخرج الإمام ابن جرير الطبري من خبر طفيل بن مرداس قال: كتب عمر إلى سليمان بن أبي السري: أن اعمل خانات في بلادك فمن مر بك من المسلمين فاقروهم يومًا وليلة، وتعهدوا دوابهم، فمن كانت به علة فاقروه يومين وليلتين، فإن كان منقطعًا به فقووه بما يصل به إلى بلده.

فلما أتاه كتاب عمر قال أهل سمرقند لسليمان: إن قتيبة غدر بنا وظلمنا وأخذ بلادنا، وقد أظهر الله العدل والإنصاف فأذن لنا فليقد منا وفد إلى أمير المؤمنين يشكون ظلماتنا، فإن كان لنا حق أعطيناها، فإن بنا إلى ذلك حاجة، فأذن لهم، فوجهوا منهم قومًا فقدموا على عمر، فكتب لهم عمر إلى سليمان بن السري: إن أهل سمرقند قد شكوا إليّ ظلمًا أصابهم، وتحاملا من قتيبة عليهم حتى أخرجهم من أرضهم، فإذا أتاك كتابي فأجلس لهم القاضي فلينظر في أمرهم، فإن

---

(١) هو بلد مشهور في أوزبكستان اليوم - معجم أماكن الفتوح / ٦٠ - .

قضى لهم فأخرجهم<sup>(١)</sup> إلى معسكرهم كما كانوا وكنتم قبل أن يظهر عليهم قتيبة.

قال: فأجلس لهم سليمان جُمَيْع بن حاصر القاضي الناجي، فقضى أن يخرج عرب سمرقند إلى معسكرهم وينابذوهم على سواء، فيكون صلحاً جديداً أو ظفراً عنوة، فقال أهل السُّغْد<sup>(٢)</sup>: بل نرضى بما كان ولا نجدد حرباً، وتراضوا بذلك، فقال أهل الرأي: قد خالطنا هؤلاء القوم وأقمنا معهم، وأمنونا وأمنّاهم، فإن حكم لنا عدنا إلى الحرب ولا ندري لمن يكون الظفر، وإن لم يكن لنا كنا اجتلبنا عداوة في المنازعة، فتركوا الأمر على ما كان ورضوا ولم ينازعوا<sup>(٣)</sup>.

فهذا مثل من عدل عمر بن عبد العزيز واهتمامه بأمور الأمة، وإنا لنلاحظ في هذا الخبر عدة أمور:

---

(١) يعني المسلمين الغزاة.

(٢) السغد قوم يسكنون بعض بلاد ما وراء النهر.

(٣) تاريخ الطبري ٦/ ٥٦٧-٥٦٨ .

أولها: أن الناس يُقبلون على التظلم والشكوى والمطالبة بالحقوق حينما يكون الحكام عادلين، لأنهم يعلمون أن دعواهم ستؤخذ مأخذ الجِدِّ وسيُنظر فيها بعدل، فهؤلاء المتظلمون قد سكتوا على ما هم فيه من الشعور بالظلم طيلة ولاية الوليد وسليمان، فلما رأوا عدل عمر بن عبد العزيز رفعوا قضيتهم.

ثانيها: أن أمير المؤمنين عمر بن عبد العزيز لم يهمل قضيتهم وإنما أحالها إلى القضاء الشرعي، وهذا مثل من الخضوع للإسلام والتجرد من هوى النفس، وكان باستطاعته أن يعمل كما يعمل كثير من المسؤولين، من إرسال خطابات الوعيد والتهديد، والبحث عن رؤوس القوم وإجراء العقوبات المناسبة عليهم، ولكنه قد نذر نفسه لرفع المظالم وإقرار العدالة، وذلك لا يكون إلا بحكم الشرع والتحاكم إليه.

ثالثها: أن أولئك القوم قد أسقط في أيديهم لما اطلعوا على كتاب أمير المؤمنين عمر بن عبد العزيز ورأى أهل الرأي منهم أنهم خاسرون في كلا الحالين، سواء حكم لهم أو عليهم، وأن مصلحتهم

في بقائهم على ما هم عليه، وبهذا زال تظلمهم وشعروا بعدالة الحكم الإسلامي.

### **كتابه إلى عمر بن الوليد:**

قال أبو محمد عبد الله بن عبد الحكم رحمه الله تعالى: وقال سليمان ابن داود الخولاني: إن عمر بن عبد العزيز كان يقول: يا ليتني قد عملت فيكم بكتاب الله، وعملت به، فكلما عملت فيكم بسنة وقع مني عضو، حتى يكون آخر شيء منها خروج نفسي.

ولما أقبل عمر على ردّ المظالم وقطع عن بني أمية جوائزهم وأرزاق أحراسهم، ورد ضياعهم إلى الخراج، وأبطل قطائعهم فأفقرهم ضجّوا من ذلك فاجتمعوا إليه فقالوا: إنك قد أخليت بيت مال المسلمين، وأفقرت بني أبيك فيما تردّ من هذه المظالم، وهذا أمر قد وليه غيرك قبلك، فدعهم وما كان منهم، واشتغل أنت وشأنك واعمل بما رأيت. قال لهم: هذا رأيكم؟ قالوا: نعم. قال: ولكن لا أرى ذلك، والله لو ددت أن لا تبقى في الأرض مظلّمة إلا رددتها، على أن لا أرد مظلمة إلا سقط لها عضو من أعضائي أجد ألمه، ثم يعود كما

كان حيًّا، فإذا لم يبق مظلمة إلا رددتها سألت نفسي عندها. قال:  
فخرجوا من عنده فدخلوا على بعض ولد الوليد- وكان كبيرهم  
وشيخهم<sup>(١)</sup> - فسألوه أن يكتب إلى عمر يوبّخه لعلّه أن يرده عن  
مسألتهم فكتب إليه:

أما بعد فإنك أزريت بمن كان قبلك من الخلفاء، وسرت بغير  
سيرتهم وسميتها المظالم تنقصًا لهم، وعيًّا لأعمالهم، وشنآنًا لمن كان  
بعدهم من أولادهم. ولم يكن ذلك لك، فقطعت ما أمر الله به أن  
يوصل، وعملت بغير الحق في قرابتك، وعمدّت إلى أموال قريش  
ومواريثهم وحقوقهم، فأدخلتها بيت مالك ظلماً وجورًا. وعدوانًا  
فاتق الله يا بن عبد العزيز وراقبه فإنك قد شططت، لم تطمئن على  
منبرك، حتى خصصت ذوي قرابتك بالقطيعة والظلم، فو الله الذي  
خصّ محمدًا ﷺ بما خصه به من الكرامة، لقد ازددت من الله بعدًا في  
ولايتك هذه التي تزعم أنها بلاء عليك وهي كذلك. فاقصد في

---

(١) هو عمر بن الوليد بن عبد الملك كما جاء في رواية ابن الجوزي.



بعض ميلك وتحاملك. اللهم فاسأل سليمان بن عبد الملك عما صنع  
بأمة محمد ﷺ حين استخلفك عليهم.

قال فكتب عمر بن عبد العزيز إليه: من عمر أمير المؤمنين إلى  
فلان بن الوليد. سلام على من اتبع الهدى، أما بعد فإني أحمد إليك الله  
الذي لا إله إلا هو، وأما بعد فإن أول أمرك يا فلان أن أملك بنانة أمة  
السكوني كانت تدخل دور حمص وتطوف حوانيتها والله أعلم بها  
فاشترها دينار بن دينار من فيء المسلمين فأهداها إلى أبيك فحملت  
بك فبئس المحمول وبئس الجنين ثم نشأت فكنت جباراً شقيّاً كتبت  
إليّ تُظلمني وزعمت أن حُرمتك وأهل بيتك في مال المسلمين الذي  
فيه حق القرابة والضعيف والمسكين وابن السبيل، وإنما أنت كأحد  
منهم لك ما لهم وعليك ما عليهم، وإن أظلم مني وأترك لعهد الله  
الذي استعملك صبيّاً سفيهاً تحكم في دماء المسلمين وأموالهم برأيك لم  
تحضره نية، ولم يكن يحمله عليه إلا حب الولد ولم يكن ذلك له، ولا  
حق له فيه، فويلك وويل أبيك ما أكثر طلابكما وخصماءكما يوم  
القيامة! وكيف النجاة لمن كثر خصماؤه؟ وإن أظلم مني وأترك لعهد  
الله من جعل لفلانة البربرية سهماً في فيء المسلمين وصدقاتهم.

أهاجرت ثكلتك أمك أم بايعت بيعة الرضوان فتستوجب سهام  
المقاتلين؟ وإنَّ أظلم مني وأترك لعهد الله من استعمل قرة بن شريك  
أعرابياً جلفاً جافياً على مصر، وأذن له في المعازف والبرابط والخمر،  
وإنَّ أظلم مني وأترك لعهد الله من ولَّى يزيد بن أبي مسلم على جميع  
المغرب يجبي المال الحرام ويسفك الدم الحرام. رويدك فإنه لو قد  
التقت علينا حَلَقَتَا البطان، وطالت بي حياة، وردَّ الله الحق إلى أهله  
تفرغت لك ولأهل بيتك، فأقمتمكم على المحجة البيضاء فطال ما  
أخذتهم بُنَيَات الطريق، وتركتكم الحق وراءكم، ومما وراء هذا ما أرجو  
أن يكون خير رأي أبُتُّه بيع رقبتك فإن لكل مسلم فيك سهماً في كتاب  
الله، والسلام على من اتبع الهدى، ولا ينال سلام الله الظالمين<sup>(١)</sup>.  
في هذا الخبر مثل من قوة أمير المؤمنين عمر بن عبد العزيز في  
تنفيذ الحق، وأنه لا يخشى في الله لومة لائم.

وفيه مقارنة واضحة بين أعماله التي أنجزها في العدل وإنصاف  
عامة المسلمين من كبرائهم، وبين أعمال بعض من سبقه من الولاة في

---

(١) سيرة عمر بن عبد العزيز لابن عبد الحكم / ١٤٧-١٥١، وانظر سيرة عمر بن عبد  
العزيز لابن الجوزي / ٩٣.

ظلم العامة ومداهنة الكبراء.

وفيه مثل من تدنَّى مستوى الفهم وعمى البصيرة عند من استمرَّ الجبروت والطغيان، حيث قلب ابن الوليد الحقائق، فجعل العدل ظلمًا وعدَّ الظلم عدلاً، لأن العدل في نظره أن يأخذ هو وأمثاله حريتهم الكاملة في التصرف بأموال العامة، وعدَّ تطبيق العدالة عليهم نوعاً من قطيعة الرحم، ولو أدرك وعقل لعرف أن أعظم صلة الرحم أن يمنع الإنسان أقاربه من المعاصي، وأن يدلهم على طاعة الله تعالى. وهذا الخلط في المفاهيم والموازن ناتج من غلبة النظر إلى الدنيا على النظر إلى الآخرة، وحينما تكون الآخرة حاكمة على الدنيا يصفو الفكر ويستقيم السلوك.

ولقد كان أمير المؤمنين عمر بن عبد العزيز شديداً في رده على هذا الرجل لأنه في نظر عمر قد بلغ من الجفاء والتجبر حداً لا يجدي معه خطاب العقل ونداء الحس الإيماني.

#### **جوابه لعنيسة حينما سأله :**

قال أبو محمد عبد الله بن عبد الحكم: قال عمر بن عبد العزيز

لعنيسة بن سعيد - وسأله حاجة - يا عنيسة إن كان مالك الذي أصبح عندك حلالاً فهو كافيك، وإن كان حراماً فلا تزيدنَّ إليه حراماً، ألا تخبرني أحتاج أنت؟ قال: لا، قال: أفعليك دين؟ قال: لا، قال: أأمرني أن أعمدَ إلى مال الله فأعطيكَه من غير حاجة بك إليه وأدعَ فقراء المسلمين؟ لو كنت غارماً أديت غُرمك، أو محتاجاً أمرت لك بما يصلحك، فعليك بمالك الذي عندك فكله واتَّق الله، وانظر أولاً من أين جمعته، وانظر لنفسك قبل أن ينظر إليك من ليس لك عنده هَوادةٌ ولا مراجعة<sup>(١)</sup>.

في هذا الحوار الذي جرى بين أمير المؤمنين عمر بن عبد العزيز وعنيسة بن سعيد يتبين لنا دقة عمر في التحري في اكتساب المال، بحيث لا يكون من طريق حرام أو مشتبهِ فيه. كما يظهر لنا مثل من عدالته في توزيع المال العام، حيث بين أن عنيسة ليس بأحق بهذا المال من فقراء المسلمين.

---

(١) سيرة عمر بن عبد العزيز لابن عبد الحكم / ١٤٤ - ١٥٥.

وهذا مثل من أمثلة كثيرة وضح فيها عمر حرمة مال المسلمين العام، وأن الأخذ منه بغير حق كالأخذ من أموال الناس الخاصة، وقد كان كثير من الناس يعتقدون بأن ولاية الأمر لهم حرية التصرف بأموال المسلمين كما يؤدي إليه نظرهم، وأن ذلك المال يصير حلالاً لمن أعطي له بمجرد صرفه من ولي الأمر، فبين لهم عمر بأقوال وأفعال كثيرة أن هذا المال لا يجوز صرفه إلا لمستحقه، وأنه إذا صُرف في غير وجهه فإنه يجب على من صُرف له أن يردّه لبيت مال المسلمين.

**مثالان من حكمته وحزمه:**

لما ولي الخلافة قال له ابنه عبد الملك: إني لأراك يا أبتاه قد أخرجت أموراً كثيرة كنت أحسبك لووليت ساعة من النهار عجلتها، ولوددت أنك قد فعلت ذلك ولو فارت بي وبك القدور، قال له عمر: أي بني إنك على حُسن قَسَمِ الله لك، وفيك بعض رأي أهل الحداثة، والله ما أستطيع أن أخرج لهم شيئاً من الدين إلا ومعه طرف من الدنيا أستلين به قلوبهم، خوفاً أن ينخرق علي منهم ما لا طاقة لي به<sup>(١)</sup>.

---

(١) سيرة عمر بن عبد العزيز لابن عبد الحكم / ٦٠، وانظر سيرة عمر بن عبد العزيز لابن الجوزي / ٤٣، ٨٧.

وهكذا لم يأخذ عمر برأي ابنه عبد الملك الذي لا يزال حديث السن لا يقدر عواقب الأمور، على الرغم من كون رأيه حق، ولكن ليس كل حق ينفذ حال معرفة أنه حق من غير نظر في عواقب التغيير، فربما أدى ذلك في بعض الصور إلى منكر أكبر من المنكر الذي يروم إزالته المصلحون، ولكن يبقى في ذهن المصلح وفي عزمه إزالة جميع المنكرات، وإنما يسلك في سبيل ذلك طريق الحكمة، ولذلك كان عمر يستلين قلوب أهل الدنيا بشيء من المال ليتوصل بذلك إلى ما يريده من الإصلاح حتى لا ينخرق عليه من أمورهم ما لا يستطيع مقاومته إلا بالقوة، وهو لا يريد إراقة الدماء، لأن شأن الأموال أهون بكثير من شأن الدماء.

ولكن حينما يكون لا بد من القوة فإن من الحزم استعماها، ومن أمثلة ذلك ما ذكره ابن عبد الحكم قال: وكان للوليد بن عبد الملك ابن يقال له «رَوح» وكان نشأ في البادية فكأنه أعرابي، فأتى ناس من المسلمين إلى عمر بن عبد العزيز يخاصمون روحًا في حوانيت بحمص وكانت لهم أقطعة إياها أبوه الوليد بن عبد الملك، فقال له عمر: اردد

عليهم حوانيتهم، قال له روح: هذا معي بسجل الوليد، قال: وما يغني عنك سجل الوليد والحوانيت حوانيتهم قد قامت لهم البينة عليها؟ خَلَّ لهم حوانيتهم، فقام روح والحمصي منصرفين، فتوعد روح الحمصي، فرجع الحمصي إلى عمر فقال: هو والله متوعدني يا أمير المؤمنين، فقال عمر لكعب بن حامد - وهو على حرسه -: أخرج إلى روح يا كعب فإن سلَّم إليه حوانيته فذلك، وإن لم يفعل فأت برأسه، فخرج بعض من سمع ذلك ممن يعنيه أمر روح بن الوليد فذكر له الذي أمر عمر فخلع فؤاده، وخرج إليه كعب وقد سل من السيف شبرًا فقال له: قم فخلَّ له حوانيته، قال نعم نعم، فخلَّ له حوانيته<sup>(١)</sup>.

وهكذا ظهر حزم عمر حينما استهان روح بن الوليد بحكم الشرع وأمر السلطان، فكان لابد من تهديده بالقوة ليدعن لحكم الحق، وهذا المثل يدلنا على أن استسلام الجبابرة لأوامره وسكوتهم على سياسته لم يكن عن قناعة، وإنما كان خوفًا من سلطانه.

---

(١) سيرة عمر بن عبد العزيز لابن عبد الحكم / ٦٠.

### إنصافه رجلاً من عدي بن أرطاة:

رؤي عن ابن عياش قال: خرج عمر ذات يوم من منزله على بغلة له شهباء، وعليه قميص له وملاءة ممشقة، إذ جاء رجل على راحلة له فأناخها، فسأل عن عمر، فقيل له: خرج علينا وهو راجع الآن، قال: فأقبل عمر ومعه رجل يسايره، فقيل للرجل: هذا عمر أمير المؤمنين، فقام إليه فشكى إليه عدي بن أرطاة في أرض له<sup>(١)</sup>، فقال عمر: أما والله ما غرنا منه إلا بعمامته السوداء، أما إني قد كتبت إليه - فضل عن وصيتي - إنه من أتاك ببينة على حق هو له فسلّمه إليه، ثم قد عنّاك إلي، فأمر عمر بردّ أرضه إليه، ثم قال له: كم أنفقت في مجيئك إلي؟ فقال: يا أمير المؤمنين تسألني عن نفقتي وأنت قد رددت عليّ أرضي وهي خير من مائة ألف! قال عمر: إنما رددت عليك حقك، فأخبرني كم أنفقت؟ قال: ما أدري، قال: احزره، قال ستين درهماً، فأمر له بها من بيت المال، فلما ولى صاح به عمر، فرجع فقال له: خذ هذه

---

(١) وكان عاملاً لعمر على الكوفة.



خمسة دراهم من مالي فكل بها لحماً حتى ترجع إلى أهلِكَ إن شاء الله<sup>(١)</sup>.  
فهذا مثل على اهتمام أمير المؤمنين عمر بن عبد العزيز برد  
الحقوق إلى أهلها، وهو من أمثلة كثيرة، مر علينا بعضها، ولكن الذي  
يلفت النظر في هذا الخبر هو ما قام به عمر من تعويض ذلك الرجل  
عما أنفقه في سفره، حيث إنه كان من حقه أن يقضى له في بلده من غير  
سفر.

وفي هذا لفت نظر إلى أمر مهم وهو أن من حق كل إنسان أن  
يأخذ حقه دون أن يكلف بالإنفاق من ماله في سبيل ذلك.  
وهذا التعويض من فقه عمر حيث رأى أن إلقاء ذلك الرجل إلى  
السفر من أجل رفع قضيته يعدُّ من تقصير المسؤول في بلده، وليس  
من تقصير ذلك الرجل، ولذلك فإنه ليس من العدل أن يُحمَّل تلك  
التكاليف.

---

(١) سيرة عمر بن عبد العزيز لابن عبد الحكم/١٤٦.